النور يسطع في الظلام

دراما في خمسة فصول

١٩٠٠ — ١٩٠٢

الشخصيات

نيكولا ايفانوفتش سارنتزيف .

ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، زوجته .

لوبا

ميسي

كاتيا   بناته .

ستيوبا

فانيا   ولداه .

بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف .

آلين ايفانوفنا كوخو فتزيف ، زوجته ، أخت ماري ايفانوفنا .

ليز : ابنته .

الأميرة تشيريمشانوف .

بوريس : ابنها .

تانيا : ابنتها

الكسندر ميخايلوفتش ستاركوفسكي .

فاسيلي نيكانوروفتش ، كاهن شاب .

الاب جيراسيم .

ميتروفان ايرميليتش ، مربٍّ .

الكسندر بيتروفتش ، متشرد .

ايفان زيا بريف ، فلاح .

ضبّاط ، أطباء .

طُلاّب ، سيدات

خدم ، فلاحون ، الخ .

الفصل الأول

« يمثّل المسرحُ مصطبةً مغطّاة في منزل ريفيّ جميل . أمام المصطبة حديقة ، وملاعبُ لكرة المضرب ، ومجموعة من الكرات الخشبية » .

المشهد – ١ –

« الأولاد يلعبون بالكرات الخشبية مع معلّمتهم . على المصطبة : ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، وهي جميلةٌ ، أنيقة ، في نحو الأربعين ؛ وأختها ، آلين ايفانوفنا كوخوفتزيف ، عمرُها خمسةٌ وأربعون عاماً ، وهي قوية ، حازمةُ المظهر ، حمقاء ؛ وزوجها بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف في ثياب صيفية ، وهو ضخم ، منتفخ الوجه ، يضع على عينيه نظّارة بلا ساعدين . وهم جالسون من حول طاولة يُقدّم عليها شايُ السماور والقهوة ، يتناولون القهوة . بطرس سيمينوفتش يدخّن » .

آلين ايفانوفنا : لو كنتِ غريبةً عني بدلاً من أن تكوني أختي ، ولو كان نيكولا أحدَ أصدقائنا بدلاً من أن يكون زوجَكِ ، لوجدتُ ذلك كلّه طريفاً جداً ، وساحراً جداً . ولعلي كنتُ سأقول مثلما قال . كنتُ سأستلطف ذلك كثيراً . لكنني عندما أرى زوجَكِ يرتكب حماقات ، حماقات

حتمية ، فلا أستطيع أن أمتنع عن أقول لك رأيي .
وسأقول ذلك أيضاً لزوجك . سأصارح العزيز نيكولا ايفانوفتش برأي الناس فيه . لستُ أخشى أحداً .

ماري ايفانوفنا: هذا لا يغيظني إطلاقاً . وأنا أرى ذلك بنفسي . لكني لا أعتقد أن ذلك خطيرٌ جداً .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أنت لا تعتقدين ذلك ، لكنني أقول لك : إن لم تقاومي ، فسوف تُضْطَرّين إلى التسوّل . وعلى هذا المنوال ...

بطرس سيميتوفتش : لا تبالغي ! مع ثروتهم !

آلين ايفانوفنا : أجل ، إلى التسوّل . لا تقاطعْني . لا ريبَ أن كل ما يصنعهُ الرجال مُحكمُ الصنعة دائماً ، في نظرك .

بطرس سيمينوفتش : لا أدري ، قاتُ . . .

آلين ايفانوفنا : أنتَ لا تدري أبداً ما تقول ، لأنكم إذا ابتدأتم ، أنتم الرجال ، بحماقاتكم ، فلن تجدوا ما يدعو إلى الانتهاء منها . كل ما أقوله هو أنني لو كنت مكانكِ لما سمحتُ بذلك ، لأخْضعتُ هذه النزواتِ للنظام . ما معنى هذا ؟ رجلٌ متزوج ، وربّ أسرة لا يعمل شيئاً ، ويتخلّى عن كل شيء ، ويوزّع كل شيء ، ويتكارَمُ ذات اليمين وذات الشمال . أنا أعرف كيف سينتهي ذلك . نحن نعرف بعضاً من هذه الأشياء .

بطرس سيمينوفتش ، لماري ايفانوفنا : اشرحي لي ، يا ماري ، ما هذا الاتجاه الجديد ؟ أنا أفهم جيداً التحرريين ، والمجالس

الإقليمية ، والدستور ، والمدارس ، وصالات المطالعة ، وكل ما يتبع ذلك . والاشتراكيون ، والإضرابات ، وأيام الساعات الثمان ، أفهم كل ذلك أيضاً . لكن ما معنى هذا ؟ اشرحيه لي .

ماري ايفانوفنا : لقد حدثك عن ذلك هو نفسه أمس .

بطرس سيمينوفتس : أعترف لك بأنني لم أفهم شيئاً مما قال . الإنجيل ، والموعظة على الجبل ، بدون كنائس . كيف يفعل الناس إذن ليصلّوا ولغير ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : هذا بالضبط أهمُّ شيء : إنه يَهْدم كلَّ شيء ولا يُحلّ شيئاً محله .

بطرس سيمينوفتش : وكيف بدأ ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : بدأ ذلك في السنة الماضية ، منذ موت أخته . لقد اغتمّ اغتماماً شديداً ، وأخذ يتحدث بلا انقطاع عن الموت ، ثم مَرِض ، كما تعلم . وحينئذ تغيّر كلياً . بعد الحمّى التيفية .

آلين ايفانوفنا : إلا أنه زارنا في موسكو ، في الربيع الماضي . كان لطيفاً جداً ، وكان يلعب معنا بالورق . كان لطيفاً جداً ككلّ الناس .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لكنه كان مختلفاً كل الاختلاف .

بطرس سيميتوفتش: كيف ذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لم يعد يكترث بأهله أبداً ، واستولتْ عليه فكرةٌ

ثابتة : الإنجيل . كان يقضي أياماً كاملةً يقرأ ، ولم يكن ينام الليل ، وكان ينهض ليقرأ وليسجّل الملاحظات ، وليكتب الاستشهادات ، ثم أخذ يزور الأساقفة والنسّاك ويستشيرهم في قضايا الدين .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! أكان يَعتّرف ويتناول ؟

ماري ايفانوفنا : قبل ذلك ، منذ فترة زواجه ، أي منذ خمس وعشرين سنة ، لم يكن يقوم بالشعائر الدينية . أما في الوقت الحاضر ، فقد أخذ مرةً يتناول ويعترف في الدير ، ثم ما لبث أن قرّر أنه لا فائدةَ من ذلك ، ولا فائدة من التردد على الكنائس .

آلين ايفانوفنا : لقد قلتُ ذلك ، قلتُ إنه ليس منطقياً مع ذاته . منذ شهر كان يثابر على الصلوات والصوم ، وفجأة انقطع عن ذلك كله .

ماري ايفانوفنا : نعم ، لكن حاولي أن تكلّميه .

آلين ايفانوفنا : حاولتُ ذلك وسأحاوله مرة أخرى .

بطرس سيمينوفتش : نعم ، لكن ذلك كله ليس كبير الأهمية .

آلين ايفانوفنا : لا ريب أن ذلك لا أهمية له عندك ، لأن الرجالَ لا دين لهم .

بطرس سيمينوفتش : دعيني اتكلّم . قصدتُ أن الموضوع ليس هذا . إذا أنكر الكنيسةَ فما علاقة الإنجيل بذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لكنه يزعم أننا يجب أن نعيش بحسب الإنجيل ، بحسب الموعظة على الجبل ، وأننا يجب أن نُعطي كلّ ما نملك .

بطرس سيمينوفتش: كيف نعيش حينئذ ، إذا أعطينا كلّ شيء .

آلين ايفانوفنا : حسنا ! وأين رأى في الموعظة على الجبل أن من الضروري مصافحة الخدم ؟ جاءَ في الإنجيل : « طوبى للحلماء » ولم يردْ ذكرُ المصافحةُ .

ماري ايفانوفنا: لا شك أنه يندفع وراء ذلك ، كما كان يندفع دائما ؛ اندفع زمناً وراء الموسيقا ، ثم وراء المدارس ؛ لكن هذه الفكرة لا تُريحني .

بطرس سيمينوفتش: وماذا ذهب يفعل في المدينة ؟

ماري ايفانوفنا: لم يقلْ لي ، لكنني أعلم أنه ذهب بصدد سرقة الخشب . سرق لنا الفلاحون خشباً .

بطرس سيمينوفتش: أكان ذلك في حرجة الصنوبر ؟

ماري ايفانوفنا: نعم حُكموا بالسجن وبالتعويضات عن الأضرار . لكنه قال لي إن القضية صارتْ في الاستئناف ، وأنا واثقةٌ أنه ذهب بسبب ذلك .

آلين ايفانوفنا : يريد أن يُعْفيهم من التعويضات ، وسيأتون غداً لقطع أشجار البستان .

ماري ايفانوفنا: بدؤوا يفعلون ذلك . كسّروا لنا كلّ أشجار التفاح وداسوا القمح ، في الحقول . وهو يَغْتفر لهم كل شيء .

بطرس سيمينوفتش: هذا مدهش .

آلين ايفانوفنا : بسبب هذا بالذات قلتُ إن من المستحيل تركه على هواه فاذا لم يُنَظّم ذلك ضاعت الثروةُ كلها . واعتقد أن واجباك كأم يقضي بأن تتخذي تدابيرك .

ماري ايفانوفنا: وماذا أستطيع أن أفعل ؟

آلين ايفانوفنا : كيف ؟ تستطيعين أن توقفيه ، أن تُفهميه أن من المستحيل أن يتصرّف هكذا . لكِ أولاد . وهذه قدوةٌ سيئة لهم .

ماري ايفانوفنا : لا شك أن ذلك مؤلم لي ، لكنني أصبر وآمل أن يمرّ ذلك كما كانت الحال في المرات السابقة .

آلين ايفانوفنا : طبعاً ، لكنْ « **كنْ مع نفسك ليكون الله معك** » . يجب أن يُحسّ أنه ليس وحده ، وأنّ من المستحيل أن يعيش هكذا .

ماري ايفانوفنا: وأسوأ شيء أنه لم يعدْ يهتم بالأولاد . أنا وحدي معنيّةٌ بتنظيم كل شيء . إلا أن لي رضيعاً من جهة، والكبار من جهة ثانية ، ثم الصبيّ والصبيّة اللذين يجب مراقبتهما . أنا وحدي ، لكل شيء . كان ، فيما مضى ، أبا حنوناً ، حريصاً على مصالح أولاده . أما الآن فقد استوى عنده كلُّ شيء . أمس بالذات قلتُ له : إن فانيا لا يَعْمل وأنه سيَرسبُ حتماً في امتحانه ؛ فأجابني إنه سيكون من الأفضل أن يَتْرك فانيا المعهد كلّياً .

بطرس سيمينوفتش: لكن أين يذهبُ حينئذ .

ماري ايفانوفنا: لا يذهب إلى مكان . هذا هو أرهب شيء ، ذلك أن

كل شيء يسير سيراً سيئاً ، لكنه لا يقول ما الذي يجب فعله .

بطرس سيمينوفتش: هذا غريب .

آلين ايفانوفنا : ما الغريب في ذلك . هذه تماماً طريقتك المعتادة في أن تنتقد كلَّ شيء وألاّ تعمل شيئاً بنفسك .

ماري ايفانوفنا: انهى ستيوبا دراسته منذ قليل ، وعليه أن يختار مهنته ، لكن الأب لا ينصحه بشيء . كان يريد أن يدخل في مكاتب الوزير ، لكن نيكولا ايفانوفتش قال له : إنه لا يجب أن يفعل ذلك ؛ كان يريد أن يدخل في فرسان الحرس ، فلم يوافقْ نيكولا ايفانوفتش على ذلك أيضاً . فسأله حينئذ : وماذا ينبغي أن أفعل ؟ فقال له نيكولا ايفانوفتش : لماذا لا تذهب لتحرث ؛ هذا أفضلُ من العمل في المكاتب . ماذا ينبغي أن يَفْعل ؟ جاء إليّ وسألني رأيي ، وأنا مكرهَةٌ أن اتّخذ قراري . لكنه هو السيّد .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! يجب أن تقولي له ذلك كله بصراحة .

ماري ايفانوفنا: آه نعم . لا بدّ من ذلك ، وسأكلّمه .

آلين ايفانوفنا : قولي له بكل بساطة : إنك لا تستطيعين أن تعيشي هكذا ، وأنك تقومين بواجباتك ، وأن عليه أن يقوم بواجباته ؛ وإلا فلينقلْ إليك كلّ شيء .

ماري ايفانوفنا: آه ! ما أشقّ ذلك كله !

آلين ايفانوفنا : سأقول له أنا ذلك ، إذا شئت . سأصارحه برأي الناس فيه .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم وكاهن شاب يدخل متخوّفاً ومضطرباً ، ممسكاً بيده كتاباً ؛ يصافح كلاً من الحاضرين .

الكاهن : جئتُ أزور نيكولا ايفانوفتش ، تقريباً . أعَدْتُ إليه كتاباً .

ماري ايفانوفنا: ذهب إلى المدينة . وسيعود بعد قليل .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الكتاب الذي أخذْتَهُ ؟

الكاهن : هو ، تقريباً ، كتاب « رينان » : حياة يسوع (١) .

بطرس سيمينوفتش: عجباً ! أهذا ما تَقْرؤُه ؟

آلين ايفانوفنا ، بادية الاحتقار : نيكولا ايفانوفتش هو الذي أعارَكَ هذا الكتاب ! حسناً ! أأنتَ متّفقٌ مع نيكولا ايفانوفتش ومع السيد رينان ؟

الكاهن ، يشعل سيجارة ، منفعلاً : نيكولا ايفانوفتش نَصَحني بقراءته . ولا شك أني غير متّفق معه . ولو كنتُ متّفقاً معه تقريباً ، لما أصبحتُ ، كما يُقال ، خادماً للكنيسة .

آلين إيفانوفنا : لكنك إن كنتَ خادماً أميناً للكنيسة ، كما يقال ، فلماذا لم تُقنعْ نيكولا ايفانوفتش ؟

الكاهن : لكلٍ رأيهُ الذي كوّنه حول هذه الموضوعات ، تقريباً ،

---

(١) كتاب رينان : كان لأعمال رينان (١٨٢٣ — ١٨٩٢) تأثير كبير في تولستوي وفي مفهومه عن المسيح .

ونيكولا ايفانوفتش مُحقٌّ في كثير من الأشياء ، لكنْ يمكن القول : إنه على خطأ فيما يخصّ الكنيسةَ .

آلين ايفانوفنا ، باحتقار : في أيّ الأشياء هو محقٌّ ؟ أمِنَ العدل أن يوزّع أمواله على الغرباء ، بحسب الموعظة على الجبل ، ويُلجىء أسرتـه إلى التسوّل ؟ .

الكاهن : الكنيسة تقدّس الأسرةَ ، إن أمكن القول ، وآباء الكنيسة باركوا الأسرةَ ،إن أمكن القولُ ؛ لكن الكمال الأسمى يقتضي ، تقريباً ، التخلّي عن الخيرات الأرضية .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا صالحٌ بالنسبة إلى القدّيسين ، لكني أعتقد أن البشر البسطاء يجب أن يتصرّفوا ببساطة ، كما يليق بكل مسيحي صالح .

الكاهن : لا يعرف أحدٌ ما الذي قُدِّر له .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! لا شك أنك متزوج ؟

الكاهن : أجل .

آلين ايفانوفنا : ألك أولاد ؟

الكاهن : لي اثنان .

آلين ايفانوفنا : لماذا إذن لا تتخلّى عن الخيرات الأرضيّة ؟ وها أنت تدخّن السيجارات .

الكاهن : ذلك بسبب ضعفي ، يمكن القول ، بسبب حقارتي .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أرى ذلك ؛ فبدلاً من أن تَردَّ نيكولا ايفانوفتش

إلى الصواب أراك تَسْنُدُه ... هذا ليس حسناً ، أقول لك ذلك بصراحة .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، المرضع » .

المرضع ، داخلةً : ألم تسمعي بعدُ بكاءَ نيكولا الصغير ! هو عطشان .

ماري ايفانوفنا: أنا ذاهبة إليه ، أنا ذاهبة إليه .

(تنهض وتخرج) .

آلين ايفانوفنا : كم أرثي لأختي ! أراها تتألم . ليس شيئاً سهلاً أن تُدير بيتاً . سبعة أولاد أحدهم مازال يرضع ، ثم هناك فوق ذلك كل هذه الابتكارات . يبدو لي حقاً أن الأمور تسير سيراً سيئاً هنا . (مشيرةً إلى رأسها ...) صَرْعةٌ . أحب أن أسألكَ : ما هذا الدين الجديد الذي وَجَدتموه ؟

الكاهن : لا أفهمُ ، تقريباً . . .

آلين ايفانوفنا : كُفَّ عن مخادعتي . أنت تفهم جيداً ما أسألُكَ عنه . . .

الكاهن : لكن اسمحي لي . . .

آلين ايفانوفنا : سألتكَ ماذا يمكن أن يكون هذا الدين الذي بموجبه ينبغي أن نشدّ على أيدي الفلاحين ، وأن نسمح لهم بقطع الأخشاب ، وأن نوزّع عليهم المال لشراء ماء الحياة ، بينما نهجر أسرتنا ؟

الكاهن : لا أعلم شيئاً من ذلك . . .

آلين ايفانوفنا : هو يقول : إن هذه هي المسيحية ؛ أنت كاهن ، ارثوذكسي ، يجب أن تعلم وأن تقول ما تعلم : إن كانت المسيحيةُ تأمر بتسهيل السرقة .

الكاهن : لكنني أنا . . .

آلين ايفانوفنا : إذنْ ما الفائدة من كونك كاهناً ، ومن كونك تُربّي شعراً طويلاً وتلبس جبّةً ؟

الكاهن : لكنْ لا أحد يسألنا عن ذلك .

آلين ايفانوفنا : كيف لا يسألكَ أحدٌ عن ذلك ؟ أنا أسألكَ عن ذلك . أمس كرّرَ عليّ أنه قد جاء في الإنجيل : « أعطِ مَنْ يسأل » . بأيّ معنى يجب أن نفهم ذلك ؟

الكاهن : أعتقدُ ، بالمعنى الأبسط .

آلين ايفانوفنا : وأنا أعتقد أنه ليس بالمعنى الأبسط ، لكنْ كما علّمونا : أي إن كلّ واحد يَحْصل على ما قدّره اللهُ له .

الكاهن : لا شك ، إلا أن ...

آلين ايفانوفنا : من الواضح أنك أنتَ أيضاً من رأيه ، كما قيلَ لي . هذا سيّء ، أقول لك ذلك بصراحة . لو كان الذي اتّفق معه بالرأي معلمةَ مدرسة أو فتىً من الفتيان لقبلنا ، أما أنت ، في وضعك ، فيجب أن تفكّر في المسؤولية التي تضطلع بها .

الكاهن : إني أبذل وسعي في ذلك .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الدينُ الذي يمنعه من الذهاب إلى الكنيسة ومن الاعتراف بالأسرار المقدّسة ؟ أما أنتَ فبدلا من أن تردّه إلى الصواب نراك تقرأ « رينان » وتفسّر الإنجيل على طريقتك .

الكاهن ، مضطرباً : لا يمكنني الإجابة . أنا مذهل ، تقريباً ... وسأسكت .

آلين ايفانوفنا : آه ! لو كنتُ رئيسَ الأساقفة ، لعلّمتكَ كيف تقرأ رينان وتدخّن السيجارات !

بطرس سيمينوفتش: كفّي عن ذلك ، بجاه السماء ! بأيّ حقّ ؟

آلين ايفانوفنا : أرجوكَ ، لا تُبْدِ ملاحظاتكَ عليّ . أنا واثقة من أن الأبَ لا يحقد عليّ . ها أنا قد قلتُ كلّ شيء . ولو سكتَ على ضغينة لكان ذلك أسوأ . أليس كذلك ؟

الكاهن : سامحيني إذا لم أحسن التعبير . سامحيني .

(صمت شاق ، لوبا وليز تدخلان) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم لوبا وليز . لوبا ، عشرون عاماً ، فتاة قوية وجميلة ، ابنة ماري ايفانوفنا . ليز أكبر سنا منها ، ابنة آلين ايفانوفنا . كلتاهما تضع على رأسها منديلاً ، وتحمل سلةً لجمع الفطور . وقد جاءتا لتسلّما ، لوبا على خالتها وزوج خالتها ، ليز على أبيها وأمها والكاهن .

لوبا : وأين أمي ؟

آلين ايفانوفنا : ذهبتْ لتُرضع الصغير .

بطرس سيمينوفتش: اذهبا واحملا أكبر كمية ممكنة . بنتٌ صغيرةٌ جاءت اليوم بفطور رائعة . ولولا أن الطقس حار لذهبتُ معكما .

ليز : تعال معنا ، بابا .

آلين ايفانوفنا : اذهبْ معهما ، فأنت تسمن كثيراً .

بطرس سيمينوفتش: قبِلتُ ، انتظراني حتى آتي بالسيجارات .

(يخرج) .

آلين ايفانوفنا : وأين بقيّةُ الجماعة ؟

لوبا : ستيوبا ذهب إلى المحطّة ، على الدرّاجة . دميتري الكسيفتش ذهب إلى المدينة مع بابا ، الصغار يلعبون بالكرات الخشبية ، وفانيا هنا على درج المدخل يلهو مع الكلاب .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل اتّخذ ستيوباً قراراً ما ؟

لوبا : نعم ، حمل بنفسه طلبَه ليتطوّع(١) . كان أمس وقحاً مع بابا ، بشكل مثير .

آلين ايفانوفنا : لكنه يتألم أيضاً . **للصبر حدود .** على الشباب أن يعملوا ، ،

(١) ليتطوع : بحسب قانون ١٨٧٤ كان الشباب الذين حصلوا على البكالوريا لا يقضون سوى سنة واحدة في الخدمة العسكرية كمتطوعين ، في فوج يختارونه ؛ وبعد ذلك يستطيعون أن يتقدموا إلى امتحان الضابط .

لوبا : بابا لم يقل له هكذا ، قال له . . .

آلين ايفانوفنا : مهما يكن ! إنما ستيوبا ما يزال في بداية حياته ، ومِنْ كلّ ما شرع به لاشيء يناسب . لكن ها هوذا .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم ستيوبا الذي يصل على الدراجة ، ثم فانيا ، ثم نيكولا ايفانوفتش » .

آلين ايفانوفنا : عندما نذكر الشمس نرى أشعتّها . ذكرناك قبل قليل . قالت لوبا إناك أسأتَ الردَّ على أبيك .

ستيوبا : لا ، إطلاقاً . لم يكن بيننا شيءٌ خاص . قال لي رأيه ؛ وأنا ، قلتُ له رأيي . وليست غلطتي إنْ لم يتّفقْ رأيانا . لكن لوبا لا تَفْهم شيئاً وتُقْحم نفسها في الحكم على كل شيء .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وماذا قررّتَ ؟

ستيوبا : لا أعلم ماذا قرّر بابا ؛ أخشى ألا يعرف ما يقرّره . أما أنا فقد عزمتُ على أن أتطوّع في فرسان الحرس . كل ذلك بسيط جداً . أنهيتُ دراستي ويجب أن أؤدي فترةَ خدمتي العسكرية . ولكنني استثقل أداءَها في الجَيش النظامي مع الضباط السكارى والأفظاظ ؛ لهذا تطوعت في الحرس الذي لي فيه أصدقاء .

آلين ايفانوفنا : نعم ! ولكن لماذا لم يُرِدْ أبوك ذلك ؟

ستيوبا : بابا ! ماذا بوسعي أن أقول عنه ! إنه الآن تحت تأثير فكرته

الثابتة ؛ وهو لا يرى إلا ما يريد أن يراه . قال إن الخدمة العسكرية هي أحقرُ خدمة ومن ثمَّ لا يجب أن تُؤَدّى . لذلك لا يعطيني مالاً .

ليز : لا ، ستيوبا ، لم يقلْ كذلك . كنتُ حاضرةً . قال : إذا كنا لا نستطيع أن نتجنّب الخدمة فَلْنؤَدّها ككلّ الناس ، وأننا إذا تطوّعْنا فمعنى ذلك أننا وجهْنا أنفسنا للخدمة .

ستيوبا : لكنّي أنا الذي سيؤدي الخدمة العسكرية ، لا هو . ولقد خَدَمَ هو مع ذلك .

ليز : نعم ، لكنه قال : ليست المسألة أنه لا يريد أن يعطي مالاً ، بل إنه لا يريد أن يُشارك في شيء مناقض لقناعاته .

ستيوبا : القضية ليستْ قضية قناعات هنا ؛ يجب تأدية الخدمة ، وهذا كل شيء .

ليز : لا أقول إلا ما سمعتُه .

ستيوبا : أعلمُ أنك توافقين بابا في كل شيء . أتعلمين ، يا خالتي ، أن ليز على اتفاق دائماً مع بابا .

ليز : مع ما هو صحيح . . .

آلين ايفانوفنا : أعلم جيداً أن ليز توافق على جميع الحماقات . تُحسّ أين توجد الحماقات . **تشمّها من بعيد .**

« يدخل فانيا في قميص أحمر ، يسارع ومعه كلابه ، وهو يحمل برقيّةً في يده » .

فانيا ، للوبا : احْزري مَنْ الذي جاء ؟

لوبا : ليس هناك ما نحزره . هات البرقيةَ .

(تحاول أن تأخذها ، فيقاوم) .

فانيا : لن أعطيكِ إياها ولن أقول لكِ مِمّنْ هي . هي من شخص يجعلك تحمرّين خجلاً .

لوبا : هذا حمقٌ . ممّنْ البرقيةُ ؟

فانيا : ها هي تحمرّ . احمرّت . خالة آلين ، ألمْ تحمرّ ؟

لوبا : كُفَّ عن حماقاتك ! ممّنْ هي ؟ خالة آلين ، ممّنْ هي ؟

آلين ايفانوفنا : من آل تشيريمشانوف .

لوبا : آه ! آه !

فانيا : انظروا ، آه ! لماذا تحمرّين ؟

لوبا : أرني البرقية ، يا خالتي . (تقرأ) سنصل في قطار البريد ، نحن الثلاثة تشيريمشانوف » . ستأتي إذن الأميرة مع بوريس وتانيا . حسناً ! أنا مسرورة جداً .

فانيا : لا شك أنك مسرورة . انظر ، ستيوبا ، كم احمرّتْ .

ستيوبا : كُفَّ ، لا تضايقها بعدُ ، أنت تفعل الشيءَ نفسه دائماً .

فانيا : آه ! نعم ، ذلك لأنك تريد أن تُغازل تانيا . وسيتحتّم عليكما أن تقترعا ، لأنه لا يمكن تزويج الأخت بزوجٍ وتزويج أخيها بأخت الزوج .

ستيوبا : كفى كلاماً . دعنا وشأننا . كم مرة قلت لك ذلك .

ليز : إن وصلوا بقطار البريد فيجب أن يكونوا هنا في هذه اللحظة .

لوبا : صحيح . لِنَتَبْقَ إذن .

(يدخل بطرس سيمينوفتش حاملاً سيجاراته) .

لوبا : عمّ بطرس ، لن نذهب إلى جَنْي الفطور .

بطرس سيمينوفتش: ولمَ ذاك ؟

لوبا : سيصل آل تشيريمشانوف في هذه اللحظة . الأفضل أن نلعب بكرة المضرب لعبةَ الثأر . ستيوبا ، أتقبل ؟

ستيوبا : قبلتُ .

لوبا : أنا وفانيا ضدكما أنت وليز . موافق ؟ سآتي بالكرات وسأدعو الأولاد .

(تخرج) .

بطرس سيمينوفتش: وها أنا أبقى .

الكاهن الذي يهمّ بالخروج : تهانيّ .

آلين ايفانوفنا : لا ، انتظرْ ، يا أبي . أحبّ أن أتحدّث معك . ثمّ إن نيكولا ايفانوفتش سيكون هنا بعد قليل .

الكاهن ، يعود إلى الجلوس ويُشعل سيجارة : ربما تأخّر .

آلين ايفانوفنا : ها قد وصلتْ عربةٌ . لا بدّ أنه هو .

بطرس سيمينوفتش: ومن هذه التشيريمشانوف ؟ أهي التي من آل غوليتزين ؟

آلين ايفانوفنا : أجل ، إنها تشيريمشانوف الفاتنة التي عاشت في روما مع عمتها .

بطرس سيمينوفتش: كم سأكون سعيداً برؤيتها . لم أرها منذ روما حيثُ كانت تغني غناءً ثنائياً معي . كانت تغني غناء لطيفاً جداً . لها ولدان ، أليس كذلك ؟

آلين ايفانوفنا : نعم ، وهما يرافقانها كلاهما .

بطرس سيمينوفتش: لم أكن أعلم أنها على صلة حميمة مع آل سارنتزيف.

آلين ايفانوفنا : ليسوا على صلة حميمة ، لكنهم قضوا السنةَ الماضية معاً في الخارج ، ويبدو لي أن الأميرة تفكّر في تزويج لوبا بابنها . هي داهية .

بطرس سيمينوفتش: لكن آل تشيريمشانوف كانوا أغنياء هم أنفسهم .

آلين ايفانوفنا : كانوا أغنياء . الأمير مازال حياً . لكنه أضاع كلَّ شيء وعكف على الشراب . فقدمتْ التماساً للامبراطور ، وأنقذتْ بعض الفضلات من ثروتها وهجرتْ زوجَها . لكنها ربّتْ ولديها تربيةً رائعة . يجب أن نُنصفها من هذا الجانب . والبنت موسيقيةٌ ممتازة ، والولد الذي أنهى دروسه في الجامعة فتى رائع . على أني أظن أن ماشا غير مسرورة . فليس هذا الوقت مناسباً لاستقبال الناس آه ! ها هو نيكولا !

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : طاب يومُكم ، آلين ، بطرس سيمينوفتش. آه ! (للكاهن) فاسيلي نيكانوروفتش .

(يشدّ على يده) .

آلين ايفانوفنا : ما يزال هناك قهوة . أتريد شيئاً منها . بردتْ قليلاً لكننا نستطيع تسخينها .

(تدق الجرس) .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، شكراً . تغدّيت . أين ماشا ؟

آلين ايفانوفنا : تُرضع الصغير .

نيكولا ايفانوفتش : وهل هي بحال جيدة ؟

آلين ايفانوفتش : أجل ! حسناً ! هل انتهيتَ من أعمالك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أنتهيتُ منها ، نعم . إن بقي عندك شايٌ أو قهوة ، فأعطيني شيئاً منهما . (للكاهن) . هل جئتَ بالكتاب ، هل قرأتَه ؟ فكّرتُ فيك طوالَ الطريق .

(يدخل خادم . يُحيّي . يشدّ نيكولا ايفانوفتش على يده . تهزّ آلين ايفانوفنا كتفيها وتبادلُ زوجها النظرات) .

آلين ايفانوفنا : أضفْ شيئاً من النار إلى السماور ، من فضلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا لزوم لذلك ، آلين . ولا أشتهي ذلك . وإذا ما أردتُ شيئاً من الشاي أو القهوة تناولتُه كما هو .

ميسي ، تشاهد أباها ، تترك الكرات الخشبيّة راكضةً وتتعلق بعنق أبيها : بابا ، تعال معي .

نيكولا ايفانوفتش ، يداعبُها : بعد قليل ، دعيني أنهي طعامي . اذهبي والعبي . سآتي .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وهل حكمتْ المحكمة على الفلاحين ؟

(نيكولا ايفانوفتش يجلس إلى الطاولة ، يشرب شايه ويأكل بشراهة ، دون أن يجيب) .

آلين ايفانوفنا : هل حُكِمَ عليهم ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعمْ ، حُكم عليهم . ثم إنهم اعترفوا . (للكاهن) ظننتُ أنك لن تقتنع برينان إلا بصعوبة .

آلين ايفانوفنا : لكنك لم تكن مسروراً من الحكم ؟

نيكولا ايفانوفتش ، متكدّراً : طبعاً ، لم أكنْ مسروراً . (للكاهن) . المسألة عندك ليست في ألوهية المسيح ولا في تاريخ المسيحية ، بل في الكنيسة .

آلين ايفانوفنا : كيف يكون ذلك ؟ هم اعترفوا **وأنت تكذبهم** . لمْ يسرقوا وإنما أخذوا .

نيكولا ايفانوفتش ، وقد بدأ يتكلّم مع الكاهن ، يستدير وهو بادي الحزم نحو آلين ايفانوفنا : آلين ، يا عزيزتي ، لا تعذبّيني بوخز دبابيسك وبتلميحاتك .

آلين ايفانوفنا : لا ، على الإطلاق . . .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنتِ ترغبين حقاً أن تعامي لماذا لا أريد أن ألاحق الفلاحين الذين قطعوا الأخشاب التي كانوا يحتاجون إليها . . .

آلين ايفافوفنا : أظن أنهم قد يحتاجون إلى هذا السماور أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إذا أردتِ أن أقول لك لماذا لا أقبل بأن

يُسْجَنَ هؤلاء الناسُ الذين قطعوا عشر سنديانات في غابة تُعْتَبَرُ ملكاً لي . . .

آلين ايفانوفنا : كل الناس يَعْتَبِرونها كذلك .

بطرس سيمينوفتش: ها قد عادت المخاصمات من جديد . أفضّل أن أذهب إلى الحديقة ، مع الكلاب .

(ينزل عن المصطبة) .

نيكولا ايفانوفتش : حتّى لو اعتبرنا هذا الغاب ملكاً لي ، وذلك مالا أقبل به ، فان عندنا تسع مئة هكتار من الغابات ؛ وفي كل هكتار نحو خمس مئة شجرة ، فيكون المجموع إذن اربع مئة وخمسين ألف شجرة (على ما يبدو لي) . وقد قطعوا عشراً ، أي بنسبة واحد إلى خمسة وأربعين ألفاً ؛ فهل يستحق هذا ، هل يجوز أن نَنْتزع رجلاً من عائلته لهذا السبب ونرمي به في السجن ؟

ستيوبا : بلا ريب ، لكن إذا لم يُعاقَبوا بقسوة من أجل هذا الجزء الضئيل فان بقية الأجزاء ستُقطع أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : كل ما قلتُه فانما أقوله للخالة وحدها ، لكنْ ليس لي ، في الواقع ، أي حقّ على هذه الغابة . الأرض ملكٌ للناس جميعاً ، أي انها لا تجوز أن تكون ملكاً لأحد . ونحن لم نقمْ بأي عمل في هذه الأرض .

ستيوبا : لا ، لكنك وفّرتَ ، اشتغلتَ .

نيكولا ايفانوفتش : بأية طريقة حصلتُ على هذه التوفيرات ؟ ولستَ

أنا الذي يحرس الغابة . . . على كل حال ، إذا لم يشعر الإنسان بالخجل لأنه قَتلَ إنساناً آخر ، فمن المتعذر أن نُثْبت له أنه أساءَ التصرّف .

ستيوبا : لا أحد يقتل .

نيكولا ايفانوفتش : سيان إن لم يشعر بالخجل من استغلال عمل الآخرين دون أن يَعْمل هو نفسه ؛ إن الاقتصاد السياسي الذي تدرسُه في الجامعة لا يصلح إلا لتبرير الوضع الذي نحنُ فيه .

ستيوبا : على العكس ، العلم يهدم كل الآراء المُسْبقة .

نيكولا ايفانوفتش : على كل حال ، هذا قليلُ الأهمية ، بالنسبة إليَّ . ما يهمّني هو أن أعلم أنني لو كنتُ مكانَ « ايفيم » لفعلتُ مثله تماماً ، وأنني لو فعلتُ ذلك لاغتممتُ حين أدخل السجن . — **كما أريد أن أعاملُ الآخرين ، بالطريقة نفسها التي أرغب أن يعاملوني بها** — . لا أستطيع أن أدينهم ، وأنا أبذل وسعي لكي أجنّبهم الإدانة .

بطرس سيمينوفتش: إذا كان الأمر كذلك ، فمن المستحيل أن يملك الناسُ شيئاً .

آلين ايفانوفنا : ستكون السرقةُ حينئذ أربحَ من العمل .

ستيوبا ، في الوقت نفسه : أنت لا تجيب أبداً عن الحجج التي تُواجَه بها. قلتُ إن مَنْ وفّر شيئاً فله الحق في أن يستفيد ممّا وفّر .

نيكولا ايفانوفتش ، مبتسماً : لا أعلمُ على مَنْ أردّ . (لبطرس سيمينوفتش) . لا يجب أن نملك شيئاً أيضاً .

آلين ايفانوفنا : لكن إذا لم يجز أن نملك شيئاً ، وإذا تعيّن ألاّ نملك ثوباً ولا قطعة خبز ، وإذا كان يجب أن نعطي كلّ شيء ، فمن المستحيل أن نعيش .

نيكولا ايفانوفتش : ولا ينبغي أن نَحيْا كما نحيا .

ستيوبا : أيْ يجبُ أن نموت . من البديهي إذن أن هذا التعليم لا يصلح للحياة .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا يصلح لا للحياة . نعم، يجب أن نعطي كل شيء ، لا الغابات وحدها التي لا نستفيد منها ولم نرها ، بل يجب أن نُعطي ثيابنا وخبزنا .

آلين ايفانوفنا : وخبز أولادنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم وخبز أولادنا ؛ لا الخبز وحده ، وإنما يجب أن نعطي أنفسنا . ها هنا تكمن تعاليم المسيح . يجب أن نبذل جهدنا كله لنعطي أنفسنا .

ستيوبا : معنى ذلك : الموت .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، إن متّ من أجل قريبك ، فهذا حسنٌ جداً لك وللآخرين . لكن المسألة أن الإنسان ليس روحاً فحسب وإنما هو روح وجسد . الجسدُ يجبرُكَ على أن تعيش لنفسك ، وروح النور تدفعك إلى أن تحيا لله ، للآخرين ؛ وكلما اقتربنا من الحياة لله ، كان ذلك أفضل . وهكذا إذن ، كلما سعيْنا إلى أن نحيا لله ، كان ذلك أحسن ، في حين أن الحياة الحيوانية تتدبّر أمرها دائماً .

ستيوبا : إذنْ ، إن كان حسناً أن نعيش هكذا ، فيجب أن نعطي كل شيء ونموت .

نيكولا ايفانوفتش: سيكون ذلك رائعاً. اجهدْ في أن تفعل ذلك ، انت والآخرون ، وسيُلفي الناس أنفسهم في أحسن الحالات من جرّاء ذلك .

آلين ايفانوفنا : لا ، هذا كله غيرُ واضح . هذا معقّد جداً . هذا واه .

نيكولا ايفانوفتش : وما العمل ؟ من المستحيل شرحُ ذلك بالألفاظ . على كل حال ، كفانا نقاشاً .

ستيوبا : بالفعل ، كفانا نقاشاً ، فلم أزددْ فهماً .

(يخرج) .

نيكولا ايفانوفتش ، للكاهن : وبعدُ ، فما الانطباع الذي أحْدثه الكتابُ فيك .

الكاهن ، مضطرباً : كيف أصفُ لك ذلك ؟ الجانب التاريخي قد عولج معالجةً واسعة ، لكنْ تَنْقصُه الدقّة ، والقناعةُ التامةُ ، لأن المصادر غير كافية ، أليس كذلك ؟ فلسنا نستطيع أن نبرهن تاريخيا أن المسيح من جوهر الهي أم لا ؛ ليس هناك سوى برهان لا جدال فيه . . .

(أثناء هذا الحوار تبتعد النساءُ أولا ، ثم يبتعد ستيوبا ، ثم بطرس ايفانوفتش ، ويبقى الكاهن وحده مع نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : أيْ الكنيسة ؟

الكاهن : طبعاً ، الكنيسة ، شهادة القديسين المُعْتَرَف بهم ، أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، سيكون رائعاً لو وُجدت شهادةٌ لا يمتدّ إليها الخطأُ ، شهادة تستطيع أن نؤمن بها ، وسيكون من المرغوب فيه أن توجد هذه الشهادة . لكن رغبتنا لا تَسْتتبع أن هذه الشهادة موجودة .

الكاهن : أنا ، أظن أن هذا هو ، بالتحديد ، الذي يبرهن على تلك الشهادة . فالرب لا يمكن أن يُعرّض شريعته للتشويه ، ولسوء التفسير ، وكان لا بد أن يجعل الكنيسة حارسةً لحقائقه ، حتى لا تُشوَّه حقائقُه .

نيكولا ايفانوفتش : هذا حسن . لكنْ كان عليك في البدء أن تبرهن على حقائقها ، أما الآن فعليك أن تبرهن على صحة حارسة الحقائق . . .

الكاهن : هنا ، لا بدّ من الإيمان ، أليس كذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : الإيمان ! لا بدّ من الإيمان ، من المستحيل الاستغناء عن الإيمان ، لكن لا ينبغي أن نؤمن بما يقولُه لنا الآخرون لكن بما تتوصل أنتَ إلى الإيمان به عن طريق سير فكرك وعقلك . . . الإيمان بالله ، في الحياة الحقيقية الأبدية .

الكاهن : العقلُ قد يَخْدع ، ولكلّ عقلُه .

نيكولا ايفانوفتش ، بحماسة : هذا تجديفٌ فظيع . إن الله أعطانا هذا السلاح المقدّس الوحيد لاكتشاف الحقيقة ، وهو وحده القادر على أن يجمع بيننا . فاذا لم نؤمن به ! . . .

الكاهن : كيف نؤمن بهما وبينهما خلاف أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الخلاف ؟ أن اثنين في اثنين تساوي أربعة ، أننا لا ينبغي أن نفعل بالآخرين مالا نرغبُ فيه لأنفسنا ، أن لكل شيء سبباً ، الخ ؟ كل ذلك حقائق نعترف بها لأنها متفقة كلها مع عقلنا . أمّا أن يكون الله قد ظهر لموسى على جبل سيناء ، أو أن يكون بوذا قد طار على شعاع الشمس ، وأن يكون المسيح قد صعد إلى السماء ، في هذه الأشياء وفي مثيلاتها لسنا متّفقين .

الكاهن : لا لسنا على خلاف ، فنحن جميعاً الذين هم في الحقيقة ؛ نحن جميعاً متّحدون في إيمان واحد بالله ، المسيح .

نيكولا ايفانوفتش : حتّى في هذه النقطة لسنا مجتمعين ، بل نحن مفترقون ؛ ثمّ لماذا أؤمن بك أكثر مما أؤمن بالكاهن البوذي ؟ ما لم يكن السبب الوحيد أنني ولدت في ديانتك ؟

(تقوم مشادّةٌ مرة أخرى بين لاعبي كرة المضرب :)

– الكرة خارج الملعب .

– لا ، ليست خارج الملعب .

فانيا : أنا رأيتها !

(أثناء الحديث ،يُحضّر خادم الطاولة والشاي،والقهوة ،مرة أخرى) .

نيكولا ايفانوفتش : أنتَ تقول إن الكنيسة ستَمْنح الوحدة . على العكس إن أفظع شقاق يأتي دائماً من الكنيسة . « كم من مرة » أردت أن أجمعكم كما تجمع الدجاجةُ فراخها » .

الكاهن : كان ذلك قبل المسيح ، لكن المسيح جَمَعَ .

نيكولا ايفانوفتش : المسيح جَمعَ ، في الواقع ، لكننا فرّقْنا ، لأننا فهمناه بالمقاوب . لقد هدمَ عدة كنائس .

الكاهن : لكن كيف تفهم : « قلْ للكنيسة » ؟

نيكولا ايفانوفتش : ليست المسألة مسألة كلام . فالكلام ليس شيئاً ولا يقول شيئاً عن الكنيسة ، وإنما المسألة مسألةُ روح العقيدة . إن عقيدة المسيح شاملة وتحتوي على جميع المعتقدات ؛ وهي لا تقبل بشيء استثنائي ، لا قيامة المسيح ولا ألوهيته ، ولا الأسرار المقدّسة ، ولا ما يفرّق .

الكاهن : أليس ذلك هو طريقتك في تفسير التعليم الديني ، لكن التعايم الديني قائمٌ كلّياً على ألوهيته وقيامته .

نيكولا ايفانوفتش : بهذا عينه كانت الكنائس مرعبةً . إنها تفرّق لأنها تؤكّد أنها تملك الحقيقة الكاملة ، التي لا جدال فيها ، والتي لا يمتدّ إليها الخطأُ . وقد بدأ ذلك مع مجمع الرسل الأول . ومنذ هذه الفترة بدأ التأكيد على امتلاك الحقيقة الكاملة التي لا حقيقة غيرها . لأنني إذا قاتُ : الله موجود ، وهو بداية الكون ، فسوف يتفقّ الناس جميعاً معي ، وهذا الاعتراف بالله سيجمعُنا ؛ لكني إذا قاتُ : الله — براهْما موجود ، أو الإله اليهودي ، أو الثالوث ، فمثلُ هذه الألوهية ستفرّقنا . إن الناس يريدون أن يتّحدوا ، وهم من أجل ذلك تصوّروا سُبُلَ الاتحاد ؛ لكنهم يأنفون من السبيل الأكيدة للوصول إلى تلك الوحدة ؛ وهي

الطموح إلى الحقيقة . وذلك تماماً كما لو كنا في بناء كبير جداً يسقط فيه النورُ من الأعلى إلى الوسط ، والناسُ متكوّمون في الزوايا بدلاً من أن يذهبوا إلى النور . بينما لو ذهبوا إلى النور ، دون أن يفكّروا في ذلك ، لا تّحدوُا جميعاً .

الكاهن : ما العمل إذن لقيادة الشعب ، دون أن نملك حقيقة محدّدة ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا بالضبط ما هو فظيع . كلٌّ منا يجب أن يخلّص روحه ، وأن يُحقّقَ بذاته عمل الرب ، ونحن منهمكون في تخليص الناس وتعليمهم . وماذا نعلّمهم ؟ من الفظاعة أن نفكّر في أننا نعلّم الآن في أواخر القرن التاسع عشر أن الله خَلَقَ العالمَ في ستة أيام ، وأنه عمل الطوفان بعد ذلك ، وأنه وضع في السفينة كل الحيوانات ، وكل الحماقات الأخرى ، وكل سخافات العهد القديم ؛ وبعد ذلك أن المسيح أمرَ أن يُرَشَّ الجميعُ بالماء وأن يؤمن الجميع بترّهات الشفاعة ، التي لاخلاص دونها ؛ وأنه ، بعد ذلك ، طار إلى السماء وجلس في السماء غير الموجودة ، على يمين الأب . لقد تعوّدنا ذلك ، لكن ذلك فظيع . إن الطفل النقيّ القلب ، الميّال إلى الخير يسأل ما الكونُ وما قوانينُه.وبدلاً من أن نكشف له تعاليم المحبة والحقيقة التي انتقلتْ إلينا ، نأخذ في حَشْو رأسه بعناية ، بالبلاهات والفظاعات المرعبة ، ونَنْسبها إلى الله . لكن هذا فظيع ! إنها لجريمة نكراء ، أنكر الجرائم ! وتصوّرْ أننا نحن ، أنكم أنتم الذين يرتكبون ذلك مع كنيستكم . سامحْني .

الكاهن : لا ريب أننا إذا نظرنا إلى تعاليم المسيح بهذه الطريقة ، عقلانياً ، أليس كذلك ، فالأمرُ كما ذكرتَ .

نيكولا ايفانوفتش : انظرْ إليها كما تشاء ، فالأمرُ واحدٌ .

(صمتٌ . الكاهن يستأذن . تدخل آلين ايفا نوفنا) .

المشهد — ٦ —

« نيكولا ايفا نوفتش ، ثم آلين ايفانوفنا ، ثم ماري ايفانوفنا » .

آلين ايفانوفنا ، للكاهن : إلى اللقاء ، يا أبي ، سيَقْلبُ لك رأسَك ، فلا تُصْغ إليه .

الكاهن : لا ، يجب أن نفحص الكتابَ المقدّس . الأمر أعْظم من أن نُهمل ذلك .

(يخرج)

آلين ايفانوفنا : الحقيقة ، يا نيكولا ، أنك لا تَرْحمُه . فبالرغم من أنه كاهن ، إلا أنه لا يمكن أن تكون قناعاته راسخةً ، إنه لم يثبتْ بعد . .

نيكولا ايفانوفتش : يجب إذن أن ندَعَه يثبت ، يتبلّدُ في الكذب . كلا ، وما الغاية من ذلك ؟ نعم ، إنه رجل طيب ، رجلٌ صادق .

آلين ايفانوفنا : لكن ماذا سيَفْعل إن آمن بك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا حاجة به إلى الإيمان بي ، لكنه إن رأى الحقيقة ، فسيكون ذلك حسناً له وللجميع .

آلين ايفانوفنا : نعم سيكون ذلك حسناً لو أن الجميع آمنوا باك ، لكن العكس تماماً هو ما يقع . فلا أحد يؤمن باك ، وامرأتُاك قبل غيرها . ولا يمكنها أن تؤمن باك .

نيكولا ايفانوفتش : ومَنْ قال لك ذلك ؟ . .

آلين ايفانوفنا : اشرح ذلك لماشا . فهي لم تفهمْ قط ، ولن تفهم أبداً ، ولن يفهم أحدٌ في العالم أنه يجب على المرء أن يُعْنى بالآخرين ويُهْمل أولاده . اشرحْ ذلك لماشا .

نكيولا ايفانوفتش : ستفهم ماشا بالتأكيد . اغفري لي ، يا آلين ، لكنْ لو لم تكن هناك مؤثّرات خارجية ، ولو لم تكن ماشا مهيّأةً للخضوع لها ، لفهمتْني ولمشت معي .

آلين ايفانوفنا : لكي تَنْهب أولادَها لمصاحة اينيم السكير وشركائه . أنتَ غاضبٌ عليّ ، لكنْ اغفرْ لي ، فلا أستطيع الامتناعَ عن القول . . .

نيكولا ايفانوفتش : لستُ غاضباً . على العكس ، أنا مسرورٌ جداً لأنك كلّمتني بصراحة ، وأتَحْت لي بذلك الفرصة للتعبير عن طريقتي في التفكير . وعندما عدتُ اليوم إلى هنا فكرّتُ فيها ، وسأقول لها ذلك ، في الحال ، وستريْن أنها ستتفق معي ، لأنها خيرّة وذكية .

آلين ايفانوفنا : اسمحْ لي أن أشكّ في ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لستُ أشكّ ، لأن ذلك ليس ابتكاراً من عند نفسي ، هذا ما نعرفه جميعاً ، ما أعْلنه المسيحُ لنا .

آلين ايفانوفنا : نعم ، برأيكَ ، أن المسيح أعلن لنا هذا الشيءَ ؛ وبرأيي أنه أعلن شيئاً آخر .

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن أن يكون ما أعلنه شيئاً آخر . انتظري ولا تناقشي ، اصغي إليّ .

آلين ايفانوفنا : هيّا ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أليس صحيحاً أننا قد نموت بين لحظة وأخرى ونختفي في العدم ، أو نمتزج بالله الذي يطالب أن نحيا بحسب مشيئته ؟

آلين ايفانوفنا : وبعدُ ؟

نيكولا ايفانوفتش : وبعدْ فما الذي أستطيع أن أفعله في حياتي غير ما يطالبُه القاضي الأعلى في نفسي ، ضميري والله ، إن ضميري والله يطلبان أن اعتبر الناس متساوين ، وأن أحبّهم جميعاً وأن أخدمهم جميعاً .

آلين ايفانوفنا : وأولادك أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، وأولادي أيضاً ، لكنْ على أن أفعل كل ما يأمرني به ضميري . المهم هو أنْ أفهمَ أن حياتي ليستْ ملكاً لي ، كما أن حياتك ليست ملكاً لك ، وإنما هي ملكٌ لله الذي أرسلَنا والذي يطالب منا أن نصنع مشيئته . ومشيئتُه . . .

آلين ايفانوفنا : هل ستُقنع ماشا بذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : بكل تأكيد .

آلين ايفانوفنا : وهل ستكفّ عن تربية الأولاد كما يجب أن نفعل ، وهل ستتركهم ؟ أبداً ، لا .

نيكولا ايفانوفتش : لن تفهم هي فقط ، بل أنتِ أيضاً ستفهمين أنْ ليس هناك شيء آخر نفعلُه .

آلين ايفانوفنا : أبداً ، لا .

(تدخل ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : وبعدُ ، يا ماشا ، ألم أوقظك هذا الصباح ؟

ماري ايفانوفنا: لا ، لم أكن أنام . وهل أنت مسرور من سَفْرتك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجلْ ، جدّ مسرور .

ماري ايفانوفنا: لماذا تتناوله بارداً ؟ بالمناسبة ، يجب إعداد الشاي لزوّارنا . هل عامتَ ؟ ستصل السيدةُ تشير بمشانوف مع ابنها وابنتها .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إن كان ذلك يسرّكِ فأنا سعيد .

ماري ايفانوفنا: نعم ، وأنا أحبّها كثيراً هي وولداها . لكن اختيار الوقت لم يكن مناسباً جداً .

آلين ايفانوفنا ، ناهضة : تستطيع أن تتحدّث معها وأنا سأتفرّج على اللعب .

(تذهب . صمتٌ ، يبدأ بعده نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا الحديثَ) .

ماري ايفانوفنا: الوقتُ غير مناسب ، لأننا بحاجة إلى الحديث .

نيكولا ايفانوفتش : قاتُ لآلين قبل قليل . . .

ماري ايفانوفنا : ماذا قلتَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، تكلّمي ، أنتِ .

ماري ايفانوفنا: لكني أحببتُ أن أكلّمك بشأن ستيوبا . يجب أن نقرّر شيئاً . فالمسكين طال انتظاره ليعلم ماذا سيفعل . جاء ليطلب مشورتي ، لكني لا أستطيع أن اتّخذ قراراً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس هناك ما نقرره . يستطيع أن يقرّر هو نفسه .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم أنه يريد التطوع في الحرس الامبراطوري ، ولا بد لذلك من شهادة منك ، ثم إن عليه أن يُنفق على نفسه وأنت لا تريد أن تعطيه شيئاً .

(تضطرب) .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، بجاه الله ، لا تضطربي ، لكن اصغي إليّ . ليست المسألة أنني أعطي شيئاً أو لا أعطي . أنا أعتبر أن التطوّع للخدمة العسكرية برضاه التام عملٌ أبله ، وأحمق ، لا يمكن أن يكون سوى فعل رجل متوحشٍ ، إن لم يفهم فظاعة هذا الفعل ؛ أو سوى نذالةٍ إن فعَلَ ذلك لغاية محسوبة .

ماري ايفانوفنا : كل شيء الآن حمقٌ وتوحّشٌ عندك . لكنه بحاجةٍ إلى أن يعيش . ولقد عشْتَ أنتَ .

نيكولا ايفانوفتش ، متحمّساً : عشتُ عندما لم أكن أفهم ، عندما لم يكن أحدٌ قد قال لي شيئاً ؛ لكن المسألة مسألته لا مسألتي .

ماري ايفانوفنا: كيف ؟ بل مسألتك لأنك لا تعطيه مالاً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أعطي ما لا يخصّني .

ماري ايفانوفنا : كيف ، مالا يخصّك ؟

نيكولا ايفانوفتش : كدُّ الآخرين لا يخصّني . والمال الذي سأعطيه إياه ، لا بدّ أن آخذه من الآخرين . ليس لي الحق في ذلك ، وليس بوسعي أن أفعله . وما دمتُ أنا أديرُ أملاكي ، فلست أستطيع أن أديرها إلا كما يأمرني ضميري . لا أستطيع أن أُعطي كدّ الفلاحين الذي يشتغلون بكل قواهم للإنفاق على تهتّك خيّالة الحرس . خُذي أملاكي فلا أعود مسؤولا بعد ذلك .

ماري ايفانوفنا: أنت تعلم جيداً أنني لا أريد ذلك ، وأنني لا أستطيع ذلك . فعليّ أن أربّي أولادي وأطعمهم وأن أضعهم . وذلك قاسٍ .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، يا عزيزتي، ليس هذا هو الموضوع . فعندما بدأت الكلام أردتُ أنا نفسي أن أتحدّث معك بقلب مفتوح . فالأمورُ لا يمكن أن تستمرّ على هذا المنوال ، نحن نعيش معاً من غير أن نتفاهم . وكأننا نتعمد تعمدّاً عدم التفاهم ، في بعض الأحيان .

ماري ايفانوفنا: أودّ لو أفهم ، لكنني لا أفهمك . لا أفهم ما الذي جرى لك .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! حاولي أن تفهمي . الوقتُ غيرُ مناسب ، لكن الله أعلم متى يحين الوقتُ . حاولي ، لا أن تفهميني فحسب ، بل أن تفهمي نفسك أيضاً ، أن تفهمي الحياة . لاننا لا ينبغي أن نعيش هكذا دون أن نعرف لماذا .

ماري ايفانوفنا: لقد عشنا هكذا ، وعشنا عيشةً حسنةً . (تلاحظ حركة تنم على الاغتياظ) . طيّب ، طيب ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أنا عشتُ هكذا ، هكذا ، أي دون أن أفكّر في التساؤل : لماذا كنتُ أعيش ، ثم آن الأوان ، وشعرتُ بالفظاعة . فاعلمي أننا نعيش من نتاج عمل الآخرين ، نشغّل الآخرين لمصلحتنا ، ونَضَعُ أولاداً في العالم ونربّيهم ليفعلوا كما نفعل . وعندما تأتي الشيخوخةُ ويأتي الموت سأتساءل لماذا عشتُ ؟ لأكثّر الطفيليّين مثلي ؟ ثم إن هذه الحياة ليست بهيجةً . وهي محتملة مادامت طاقةُ الحياة تتدفّق منّا ، كما هي الحال عند فانيا .

ماري ايفانوفنا: لكنّ جميع الناس يعيشون هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : وجميع الناس بائسون .

ماري ايفانوفنا: لا ، أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : أنا من جهتي رأيتُ أنني كنتُ في غاية البؤس . وأنني سبب بؤسك وبؤس الأولاد ، وتساءلتُ : أمن الممكن أن يكون الله قد خلقنا من أجل ذلك ؟ وما ان فكرت في ذلك حتى شعرتُ أنْ لا ؛ وتساءلتُ حينئذٍ مرة أخرى : لمَ خلقنا الله إذن ؟

(يدخل خادم . تنصرف ماري ايفانوفنا عن زوجها وتخاطب الخادم) .

ماري ايفانوفنا: هات قشدةً مغليّة .

نيكولا ايفانوفتش : رأيتُ الجوابَ في الإنجيل ؛ وهو أننا لا ينبغي

أن نعيش لأنفسنا . غدا ذلك بديهياً تماماً عندما فكرتُ في مثل الكرّامين . أتعرفين هذا المثل ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرفه . الفعَلَةُ . . .

نيكولا ايفانوفتش : أظهر لي هذا المثلُ ، بشكل أوضح من أي شيء آخر ، فيم كان يكمنْ خطئي . كنتُ أظنّ مثل هؤلاء الكرّامين أن البستان ملكي ، وأن حياتي لي ، وكان ذلك شنيعاً ؛ لكنْ ما ان فهمت أن حياتي ليست ملكاً لي ، وأنني أُرسلتُ إلى العالم لأتمّم عمل الله . . .

ماري ايفانوفنا: لكننا نعلم ذلك كلّه .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنّا نعرفه فلا يجوز أن نظلّ نحيا كما نحيا ، إذْ أن حياتنا بأكملها لا تقوم على عدم إتمام مشيئته ، بل على عكس ذلك ، على مخالفتها باستمرار .

ماري ايفانوفنا: في أي شيء نخالف مشيئته إذا كنا نعيش دون أن نُسيء إلى أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش ، كيف « دون أن نُسيء إلى أحد ؟ بهذه الطريقة عينها كان الكرّامون يفهمون الحياة . لأننا . . .

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرف هذا المثل . حسناً ! لقد أعطى لكل واحد حصةً مساوية لغيره .

نيكولا ايفانوفتش ، بعد صمت : لا ، ليس الأمرُ كذلك لكن اسمعي هذا الشيء ، ماشا . فكّري أننا لا نعيش إلا مرة واحدة ، وأننا نستطيع أن نعيش حياتنا بقداسة أو نفقدها .

ماري ايفانوفنا: ليس بوسعي أن أفكر . فأنا أقضي الليالي مسّهدةً ، أرضع الصبي ، وادير شؤون المنزل ، وبدلاً من أن تساعدني ، تقول لي أشياء لا أفهمها .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا !

ماري ايفانوفنا: وفوق ذلك هذه الزيارات .

نيكولا ايفانوفتش : سننتهي بالاتفاق . (يقبّلها) . أليس كذلك ؟

ماري ايفانوفنا: أجلْ . لكنْ ، كنْ كما كنتَ قديماً .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، لكن اصغي .

(تسمع أصوات الجلاجل ومركبة تدنو) .

ماري ايفانوفنا: لا وقتَ لديّ ، الآن . سأذهبُ لملاقاتهم .

(تغيب خلف ركن المنزل . يتبعُها ستيوبا ولوبا . تبدو آلين ايفانوفنا وزوجُها وليز على المصطبة ، نيكولا ايفانوفتش يمشي ذهاباً وإياباً ، غارقاً في أفكاره) .

فانيا ، قافزا من فوق المقعد : لم أترك اللعب ، سنُنهيه . لوبا ! ماذا !

لوبا ، جادّة المظهر : أرجوك أن تكفّ عن مَزْحاك .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل أقنْعتَها ؟

نيكولا ايفانوفتش : آلين ، كل ما يجري بيننا بالغ الأهمية ، والمزحُ في الوقت الحاضر ليس في مكانه . لست أنا الذي يحاول أن يُقْنع ، بل الحياة ، بل الحقيقة ، بل الله . هذا الذي يُمكنه أن يُقنع ، وإذن فمن المستحيل ألا تَقْنع ، غداً إن لم يكن اليوم ، وأنْ لم يكن غداً ؛ فسيكون ... شيءٌ

رهيب أن الناسَ لا يملكون إلا القليل من الوقت . ومَنْ جاء ؟

بطرس سيمينوفتش: آل تشيريمشانوف . كاتيش تشيريمشانوف التي لم أرها منذ ثمانية عشر عاماً . آخر مرة التقينا فيها غنّينا معاً لحناً ثنائياً : « سيشدّ كلٌ منا على يد الآخر »(١) .

(يغنّي)

آلين ايفانوفنا ، لزوجها : أرجوك ألا تقاطعْني ولا يذهب بك التصوّرُ أنني سأختلف مع نيكولا . أقول لكَ الحقيقة . (لنيكولا ايفا نوفتش) . لستُ أمزح على الإطلاق ؛ لكن يبدو لي غريباً أنْ تنوي إقناعَ ماشا في اللحظة نفسها التي عزَمتْ فيها على الحديث معك .

نيكولا ايفانوفتش : طيّب ، طيّب . هاهم أولاء . قولي لماشا ، أرجوك ، إنني سأكون في غرفتي .

(يخرج) .

ستار

(١) على يد الآخر : لحن ثنائي مشهور في اوبرا دون جوان لموزار .

الفصل الثاني

« في الريف ، بعد ثمانية أيام . تمثل خشبةُ المسرح صالة كبيرة ، المائدة مُعَدّة . سماور ، شاي وقهوة . على مقربة من الجدار بيانو وأدراج للموسيقا .

المشهد — ١ —

« ماري ايفانوفنا ، الأميرة وبطرس سيمينوفتش على الطاولة » .

بطرس سيمينوفتش: آه نعم ! يا أميرة . يبدو أنك منذ زمن قريب كنت تغنّين روزين (١) ، بينما أنا ... أنا عاجز الآن عن أن أغني حتى لحن دون بازيلو(١) .

الأميرة : ابناي يستطيعان أن يغنّيا الآن ، لكننا في زمن آخر .

بطرس سيمينوفتش: نعم ، في زمن وضعي . لكن الأميرة ، بنتاك ، تعزف بجد ، عزفاً حسناً جداً . أما يزالون جميعاً نائمين ؟

ماري ايفانوفنا: أجلْ ، ذهبوا أمس مساء في نزهة على الجياد ، في ضوء القمر . وعادوا في وقت متأخر جداً . كنتُ أُرضعُ الصغير ، وسمعتهم يدخلون .

بطرس سيمينوفتش: ومتى ستعودُ زوجتي الكريمة ؟ هل أرسلت المركبةَ لتأتي بها ؟

(١) روزين ودون بازيلو : شخصيتان في حلاق اشبيلية ، اوبرا روسيني .

ماري ايفانوفنا: اوه ! نعم ، ذهبتْ مبكّرة . ولن تلبثَ طويلاً حتى تعود .

الأميرة : أمن الممكن أن آلين ايفانوفنا ذهبتْ فقط لتعود بالأب جيراسيم ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، هذه الفكرة خطرتْ لها أمس وذهبت إليه على الفور .

الأميرة : أية طاقة ! أنا معجبة بها .

بطرس سيمينوفتش: اوه ! أما الطاقة فليست هي التي تنقصنا . (يأخذ سيجاراً) . على كل حال ، سأذهب لأدخن ولأتنزّه مع الكلاب ريثما ينهض الشباب من نومهم .

(يخرج) .

الأميرة : لعلي مخطئة ، يا عزيزتي ماري ايفانوفنا ، لكن يبدو لي أنك مهمومة بذلك كله أكثر من اللازم . وأنا أفهم ذلك . إنه سمو روحي عظيم . لكنْ ماذا يضيرك . لو أعطى الفقراء ؟ إننا نفكرّ أكثر مما ينبغي بأنفسنا .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لو أن الأمرَ بقي هنا ؛ لكنك لا تعرفينه ، ولا تعلمين كل شيء . ليست المسألة مسألة إعانة الفقراء ، بل إنها انقلابٌ تام ، هدمُ كل شيء . . .

الأميرة : لا أريد أن أتدخّل في حياتك العائلية ، لكنْ لو سمحتِ ...

ماري ايفانوفنا: كلاّ ، إنني اعتبركِ من العائلة ، ولا سيّما الآن .

الأميرة : كنتُ سأنصحك أن تقولي باخلاص وبصدق ما ترغبين فيه وأن تتفاهمي معه . . . إلى بعض الحدود . . .

ماري ايفانوفنا ، بصوت منفعل : لا حدودَ هنا . إنه يريد أن يعطي كل شيء . يريدني الآن ، في سني ، أن أغدو طاهية وغاسلة .

الأميرة : هذا لا يُصدق ! هذا مدهش !

ماري ايفانوفنا ، مخرجة رسالةً : نحن وحدنا ، وأنا سعيدة أن أكشف لكِ عن نفسي . لقد كتبَ إلي رسالةً . سأقرؤها عليكِ .

الأميرة : كيف ، تعيشان تحت سقف واحد ويكتبُ إليك رسائل ؟ غريب .

ماري ايفانوفنا: لا ، أنا أفهم هذا . إنه ينفعل ما دام يتكلّم . وأنا قلقة ، في هذه الآونة الأخيرة ، على صحته .

الأميرة : وماذا كتبَ إليك ؟

ماري ايفانوفنا: اسمعي ! (تقرأ) . « تلومينني لأنني أفسدت نظام حياتنا القديمة ، وأنني لا أُعطي شيئاً مقابل ذلك ، وأنني لا أقول ما الذي أستطيع أن أفعله لتنظيم حياة عائلتي .

عندما نتكلم نفقد رباطةَ جأشنا ، ولذلك أكتب إليك . لقد ذكرتُ لكِ مرات السببَ الذي من أجله لا أستطيع أن أعيش كما عشتُ . أما إقناعك بأننا يجب ألاّ نعيش على هذا المنوال بل يجب أن نحيا حياةً مسيحيةً ، فذلك

يستحيل عليَّ في رسالة . أنتِ بين اثنتين : إما أن تؤمني بالحقيقة وبالحرية وتمشي معي ؛ وإما أن تؤمني بي وتتّكلي علي من غير تبصّر لتَتْبعيني » . (تقف عن القراءة) لا أستطيع أن أفعل هذا ولا ذاك . هذا ما عدا إنني سأعيش تماماً وفق إرادته . إنني أشفق على الأولاد ولا أستطيع أن اتّكل عليه . (تقرأ) « وهذه هي خطّتي(١) : سنُعطي جميع أراضينا للفلاحين ، وسنحتفظ بخمسين هكتاراً وببستان الفاكهة كله ، وأيضاً بالمرج . وسنبذل وسعنا لكي نزرعه بأنفسنا ، لكننا لن نجبر أنفسنا ولن نجبر أولادنا . وما سنحتفظ به سيغلّ علينا نحو خمس مئة روبل .

الأميرة : العيش بخمس مئة روبل ، مع سبعة أولاد ، أمرٌ مستحيل كلّياً .

ماري ايفانوفنا: وانظري ، إنه يعرض فوق ذلك خطةً كاملة : أن نهجر بيتنا لنقيم فيه مدرسةً ، وأن نعيش نحن في كوخ البستاني ، في غرفتين . . .

الأميرة : بدأت أظن أيضاً أن هذا شيءٌ مَرضيّ . وبماذا أجبْتِ ؟

ماري ايفانوفنا: قلتُ إن هذا متعذّر علي ؛ وأنني لو كنتُ وحدي

---

(١) وهذه هي خطتي : من المفيد أن نذكر أن أحد أتباع تولستوي ، الأمير الشاب ديميتري خيلكوف ، قد وزع في سنة ١٨٨٦ كل أملاكه على الفلاحين المجاورين ، ولم يحتفظ لنفسه إلا بحصة كحصة أحد الفلاحين ، وهي سبعة هكتارات ، لكي يفلحها بنفسه .

لتبعتُه حيثما ذهب ، لكنْ لا مع الأولاد . تصوّري : إنني أرضع نيكولا الصغير . قلتُ له : لا يمكن أن تحطم هكذا كل شيءْ. أمن أجل هذا تزوجت ؟وقد صرتُ ضعيفة ، وتقدّمتُ في السن . وليس بالسهل أن تضعَ المرأة تسعة أولاد وترضعهم .

الأميرة : لكنني لم أكن أتصوّر إطلاقاً أن الأمور بلغتْ هذا الحدّ .

ماري ايفانوفنا: بقيت الأمور بيننا هنا ، ولستُ أتصوّر ما الذي سينتجُ عن ذلك . لقد امتنع أمس أن يتسلّم المزارعة من فلاحي دميتروفكا وأراد أن يعطيهم الأرض .

الأميرة : يبدو لي أنك لا ينبغي أن تقبلي بذلك . نحن جميعاً مضطرّاتٌ أن ندافع عن أبنائنا . إذا كان لا يستطيع أن يملك الأرضَ فَلْينقلْها إليكِ .

ماري ايفانوفنا: لكنني لا أريد ذلك !

الأميرة : أنت مضطرةٌ أن تفعلي ذلك من أجل أولادك . فَلْيسجّلْ الأملاكَ باسمك .

ماري ايفانوفنا: قالت له أختي ذلك ، فأجاب أنه لا يملك الحقّ في ذلك ؛ وأن الأرضَ لمن يفلحها ، وأنه مُكْرَهٌ على نقلها إلى الفلاحين .

الأميرة : أرى الآن أن الأمور أعظم خطراً مما كنتُ أظنُّ .

ماري ايفانوفنا: والكاهن يشاطره آراءه .

الأميرة : نعم ، لاحظتُ ذلك أمس .

ماري ايفانوفنا: من أجل ذلك ذهبتْ أختي إلى موسكو . أرادت أن

تستشير كاتباً عدلاً ، وأن تأتي ، على الخصوص ، بالأب جيراسيم ، لكي ينصحه .

الأميرة : أعتقد مع ذلك أن المسيحية ليست في أن يدمّر المرء عائلته .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لن يقبل الاستماع إلى الأب جيراسيم . فهو قوي الإرادة ، كما تعلمين ، وإذا تكلّم فأنا لا أحسنُ الردّ عليه . الفظيع في الأمر هو أنه يبدو لي مُحقّاً .

الأميرة : ذلك لأنك تحبّينه .

ماري ايفانوفنا: لا أعلم لماذا ، لكن ذلك رهيب ، رهيب . كل شيء باق بلا حلّ . هذه هي المسيحية !

مربيّة الولد ، داخلة : من فضلك ، يا سيدتي ، الطفل يطلبك ، لقد استيقظ .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية في الحال . أنا قلقة وهذا يُمْرِضُه . أنا آتية ، أنا آتية .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً من باب آخر ، ممسكاً بورقة . لا ، هذا مستحيل !

ماري ايفانوفنا: وما ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : انظري . من أجل صنوبرة حقيرة تخصّنا ، سيذهب بطرس إلى السجن .

ماري ايفانوفنا : وكيف ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجل ! قطَعها ، واشتكيَ عليه إلى قاضي الصلح الذي حكم عليه بالسجن لمدة شهر . وامرأته تتوسّل .

ماري ايفانوفنا: ألا يمكن أن تفعل شيئاً

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن الآن ، وليس هناك سوى شيء واحد ، ألا يبقى لدينا أخشاب ، ولن يبقى لدي . لكن ما العمل ؟ سأذهب إليه وسأرى إن أمكنت مساعدته ... لنُصْلح ما فعلناه نحن أنفسنا .

(تدخل لوبا ومعها بوريس) .

لوبا : طاب يومك ، بابا . (تقبّله) . أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : جئتُ من القرية وسأعودُ إليها . ففيها يُساق بائسٌ جائع إلى السجن ، لأنه . . . .

لوبا : بطرس ، بدون شك ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هو بطرس .

(يخرج)

لوبا ، جالسة قرب السماور : شاي أم قهوة .

بوريس : سيّان .

لوبا : نجد الشيءَ نفسه دائماً . لا أتوقّع نهاية لذلك كله .

بوريس : لست أفهم هذا . أعلمُ أن الشعب فقيرٌ وجاهل ، وأن من الواجب مساعدته ، لكننا لا نساعده بتشجيع اللصوص .

لوبا : كيف نساعده إذن ؟

بوريس : بنشاطنا كاملاً . نستطيع أن نكرس معارفنا كلها لخدمته ، لكن لا يجب أن نعطي حياتنا .

لوبا : لكن بابا يزعم أن هذا بالضبط هو ما يلزمه .

بوريس : لستُ أفهم المساعدة هكذا ؛ يمكن أن نخدم الشعب دون أن نَفْتَقِد حياتنا . وهكذا أريد أن أنظّم حياتي . لو أملك فقط . . .

لوبا : أريد ما تريده ، ولستُ أخشى شيئاً .

بوريس : لكن هذه الأقراط وهذه الزينة ؟

لوبا : الأقراط نستطيع أن نبيعها ، أما الزينة فيمكن أن تكون مختلفة ، دون أن تكون مع ذلك بَشِعةً .

بوريس : أنا أتمنّى أن اتحدّث معه مرةً أخرى . أتظنين أني لن أكون فضولياً لو ذهبتُ إلى القرية لألقاه .

لوبا : أبداً لا . أظنّ أنه قد أخذ يحبّكَ وأنه كان يخاطبك على الأغلب ، أمس .

بوريس : حسناً ! سأذهب إليه .

لوبا : إذهبْ ، وأنا سأوقظُ ايز وتانيا .

(يفترقان)

المشهد — ٢ —

« شارع . ايفان زيابريف ، ممدد على الأرض قرب كوخه ، وهو مغطى بمعطف من جلد الخروف » .

ايفان : ميلاني !

(تخرج بنتٌ صغيرةٌ من الكوخ ، حاملة رضيعاً على ذراعيها ، والرضيع يبكي) .

هاتي ماءً ، للشرب !

(تدخل ميلاني الكوخ ، يُسمَعُ صراخ الرضيع . تحْمل الماءَ) .

لماذا تضربين الصغير حتى يصرخ ؟ سأقول ذلك لأمّك .

ميلاني : قلْ ذلك لأمي ، إنه يبكي لأنه جائع .

ايفان ، يشرب : كان يمكنك أن تطلبي حليباً من آل ديومكين .

ميلاني : ذهبتُ إليهم فلم أجدْ حليباً . على كل حال ، لا يوجد أحدٌ في البيت .

ايفان : آه ! ليتَ الموتَ يَسْتعجل ! هل دقّ جرسُ العشاء ؟

ميلاني ، صارخةً : لقد دقّ . ها هو السيدُ يعود .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : لمَ أنتَ هنا ؟

ايفان : الذباب كثيرٌ والطقسُ حار .

نيكولا ايفانوفتش : وهل دَفِئْتَ أخيراً ؟

ايفان : إنني أشتعل الآن كأنني في نار .

نيكولا ايفانوفتش : وأين بطرس ؟ أهو هنا ؟

ايفان : وكيف يكون هنا ، في مثل هذا الوقت . ذهب إلى الحقول مع طنبره ، ليُحمّل حزم الشوفان .

نيكولا ايفانوفتش : وما هذا الذي قالوه لي من أنهم سيسوقونه إلى السجن ؟

ايفان : لا شك ، ذهب الدركي ليحضره من الحقول .

(في هذه اللحظة تبرز فلاحة حبلى ، وهي تحمل حزمة من الشوفان ومشطاً ، ولا تلبث أن تبدأ بضرب ميلاني على قذالها) .

الفلاحة : لماذا تركت الصغير يبكي ؟ أتسمعينه يبكي ؟ لا تفكرين إلا في التسكع في الشارع .

ميلاني ، تزعق : خرجت للتو . طلب أبي ماء للشرب .

الفلاحة : سأريك ! . . . (تشاهد المعلم) . طاب يومك ، يا معلمنا ، نيكولا ايفانوفتش . ما هذا الشقاء معهم ! إني أتعذب ، وأنا وحدي في كل شيء . وها إنهم يسوقون إلى السجن العامل الوحيد ، في حين يظل هذا الخامل نائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا تقولين ؟ هو مريض !

الفلاحة : هو مريض ، وأنا لست مريضة ! إذا لزم العمل مرض ، لكنه يشفى من مرضه إذا فسق أو إذا جرني من شعري . فليمت كالكلب ، ماذا يهمني من ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألا تخجلين ؟

الفلاحة : أعلم أن ذلك خطيئة ، لكنني لا أستطيع أن أسكت قلبي . أنا حبلى ، وأنا اشتغل عن اثنين ! الآخرون أنهوا الحصاد ، وما يزال عندنا الكثير للحصاد . لا بد من الانتهاء ، لكن هذا مستحيل . ويجب أن أعود إلى المنزل لأرى ما الذي حل بالصغار .

نيكولا ايفانوفتش : سيُحصَدُ الشوفانُ عنك ، وسأدفع أجرة الحصاد ، وسأطلب حزمه .

الفلاحة : الحزْم ليس شيئاً ، سأحزم أنا نفسي ، على شرط أن يُحصَدَ الشوفان . ما رأيك ، نيكولا ايفانوفتش ، هل سيموت ؟ يبدو لي مشرفاً على الموت .

نيكولا ايفانوفتش : لا أدري . آه ! حقاً ؛ إنه يبدو مشرفاً على الموت ! أرى أن الأفضل نقله إلى المستشفى .

الفلاحة : اوه ! ياربي (تأخذ بالزعيق) . لا تنقلْه ؛ ليمتْ هنا (لزوجها) . ماذا تريد ؟

ايفان : اودّ أن أذهب إلى المستشفى . أنا هنا أسوأ من الكلب .

الفلاحة : لم أعدْ أعرف ما أفعل . فقدتُ صوابي . ميلاني ، حضّري العشاء .

نيكولا ايفانوفتش : وما عندكم للعشاء ؟

الفلاحة : ماذا تريدُ أن يكون عندنا ؟ بطاطا وخبز . لكننا لا نجد ما نأكله .

(تدخل الكوخ ، تُسمع همهمةُ الخنزير وصراخ الأولاد) .

ايفان ، متأوهاً : اوه ! يا ربي ، على شرط أن يختطفني الموتُ بأسرع وقت !

بوريس ، داخلاً : ألا أستطيع أن أنفعكم بشيء ؟

نيكولا ايفانوفتش : هنا ، لا سبيلَ إلى نفع الآخرين . فالشر شديدُ التأصل . ولا يمكن أن ننفع إلا أنفسنا ، عندما نرى على

ماذا بنينا سعادتَنا . هذه أسرة فيها خمسةُ أطفال ، والأم حبلى والأب مريضٌ . ولا طعام عندهم سوى البطاطا ؛ وفي هذه اللحظة تتقرّرُ مسألةُ إن كانوا سيجدون ما يأكلونه في السنة القادمة أم لا ؟ . من المستحيل مساعدتُهم . سأستأجر لهم عاملاً . لكنْ مَنْ سيكون ذلك العامل ؟ بائساً شبيهاً بهذا ، يترك فلاحته بسبب إدمان الخمر أو بسبب الشقاء .

بوريس : عفوك ، لكنْ ماذا تفعل حين تأتي إلى هنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : آتي لأتعرف وضعي الخاص : لأعرف مَنْ يُعْنَى لي بالحدائق ، مَنْ يبني بيتي ، من يَصْنع ثيابنا ، مَنْ يُطعمنا ، من يُلْبسنا .

(يدخل فلاحون بمناجلهم ، وفلاحات معهن أمشاط . الجميع يحيّون) .

نيكولا ايفانوفتش ، مخاطباً أحد الفلاحين : ما رأيكَ افريم ، ألا ترضى أن تعمل بالأجرة لتحصد لهم ؟

الفلاح ، هازاً رأسه : أودّ ذلك من كل قلبي ، لكنني لا أستطيع ؛ ولم يُنْقَل حصادي . ونحن نُسْرع في نقله . لكن هل سيموت إيفان ؟

فلاح آخر : ربما قَبِلَ العجوز سيباستيان بهذا العمل ؟ ايه ! يا جَدّي ! يريدون أن يستأجروا عاملاً للحصاد ؟

سيباستيان : اشتغلْ أنت ، إذا شئتَ . النهار اليوم يُطعم طوالَ السنة .

نيكولا ايفانوفتش : جميعهم لا يَشْبعون ، يأكلون الخبز مع الماء ، وهم مَرْضى ، وطاعنون في السن ، على الأغلب . انظرْ إلى ذاك العجوز هنالك ، إن به فَتْقاً يؤلمه ؛ وهو يعمل من الرابعة صباحاً إلى العاشرة مساءً ، ويتنفس بمشقة . ونحن ! أيمكننا ، وقد فَهِمْنا ذلك ، أن نعيش مطمئنين ، وأن نعتبر أنفسنا مسيحيين ؟ لا ، لا مسيحيين ، بل أيمكننا فقط أن نعتبر أنفسنا مختلفين عن الحيوان ؟

بوريس : لكنْ ما العمل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألاّ نشارك في هذا الشر ، ألا نملك الأرض . ألاّ نعيش من عملهم . أمّا كيف ننظّم ذلك ، فلستُ أدري . هذه هي المسألة قبل كل شيء ... هكذا جرت الأمورُ معي على الأقل : كنتُ أعيش ولا أفهم كيف كنتُ أعيش . لم أكن أعلم أنني ابن الله ، وأننا جميعاً أبناء الله وإخوة . لكنني عندما فهمتُ ذلك ، عندما فهمتُ أن للجميع حقوقاً متساويةً في الحياة ، انقلبتْ حياتي كلها . على كل حال ، لا أستطيع أن أشرح لك ذلك الآن . أحب أن أقول لك فقط : إنني كنتُ أعمى من قبل كما أن أسرتي عمياء ، والآن انفتحتْ عيناي . ويستحيل عليّ ألا أرى . لكنني إذ رأيتُ ، فلا أستطيع أن أستمرّ في حياتي هكذا . على كل حال ، يجب أن نفعل الآن ما يمكننا فعلُه .

(يظهر الدركي وبطرس وزوجته وصبي) .

بطرس ، جاثياً أمام نيكولا ايفانوفتش : سامحني بجاه المسيح ، لقد هلكتُ . كيف تستطيع امرأتي أن تتخلص من هذا المأزق؟ لو أمكن أن يكفلني أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش : سأذهب إلى المدينة . وسأكتب طلباً (للدركي) . ألا يمكن تركه الآن ؟

الدركي : معي أمرٌ بسوقه إلى المركز .

نيكولا ايفانوفتش : اذهبْ ، سأستأجر أحداً ، سأفعل ما يمكن فعلُه . هنا ، أنا المجرم حقاً . كيف نعيش هكذا !

المشهد — ٣ —

« في الملكية نفسها . المطر يهطل . غرفة الاستقبال. تانيا جالسة إلى البيانو . عزفتْ لتوّها سوناتة لشومان . قرب البيانو يقف ستيوبا . بوريس جالس . لوبا ، ليز ، ميتروفان ايرمياتش ، الكاهن ، انفعلوا .

لوبا : اللحن المتباطىء رائع !

ستيوبا : لا ، بل اللحن السريع . على كل حال كل ما فيها ساحر .

ليز : هذا حسن جداً .

ستيوبا : ماكنتُ أتصور أنك فنّانةٌ إلى هذا الحد . هذا عزف معلّم حقيقي . من الواضح أن الصعوبات غير موجودة بالنسبة إليكِ . أنتِ معنية بالتعبير فقط ،وأنتِ تعبّرين بطريقة رقيقة ، على نحو رائع .

لوبا : ونبيلة .

تانيا : لكني أحس أن ليس هذا ما كنت أتمنّاه وأن كثيراً من الأشيا ناقصة .

ليز : ماذا تطلبين أكثر من ذلك ؟ هذا عجيب !

لوبا : شومان جميل . لكن شوبان يهزّ أكثر .

ستيوبا : هو أكثر غنائية .

تانيا : لا يمكن المقارنة بينهما .

لوبا : أنتذكرين مقدّمته الموسيقية .

تانيا : تلك التي تحمل اسم جورج ساند .

(تعزف بدايتها) .

لوبا : ليست هذه ، هذه رائعة لكنها كثيرة التكرار ؛ اعزفي الأخرى .

(تانيا تعزف ما أمكنها أن تعزفه ثم تتوقف) لا ، هذه « بالري » الصغرى .

تانيا : آه ! تلك شيء رائع ، كأنها العناصر قبل خَلْق العالم .

ستيوبا ، ضاحكاً : نعم ، نعم . اعزفي أيضاً ، أرجوك ، لكن ، لا . لا بدّ أنكِ تعبتِ . نعّمنا بصبيحة ممتازة ، بفضلك .

تانيا ، ناهضة وناظرة من النافذة : ها هم الفلاحون مرةً أخرى .

---

(١) اسم جورج ساند : ألفها شوبان في دير قديم في جزيرة مينوركا ، حيث قضى عدة أشهر مع جورج ساند .

لوبا : هذا الذي به تغدو الموسيقا ثمينة . إني أفهم شاول . والشيطان لا يعذّبني . لكني أفهم . ليس من فن في الدنيا يُنْسيك كلّ شيء كالموسيقا .

تانيا : وتتزوجين برجل لا يفهم شيئاً في الموسيقا .

لوبا : بلى ، بوريس يفهمها .

بوريس ، باديَ الشرود : الموسيقا ! بلى ، أحبُّ الموسيقا . لا أهميّة لذلك ، وأنا أغتاظ قليلاً من الأهمية التي قد تتّخذها في حياة الآخرين .

(يُقدَّم على الطاولة ملبّس فيتناول منه الجميع) .

لوبا : ما أحسن هذا . الخطيبُ هنا والملبّسُ يَظْهر على الفور .

بوريس : آه ! أنا لا يدَ لي في هذا ، أمي هي التي بعثتْ به .

تانيا : أحسنتْ فعلاً . (تدنو من النافذة) . مَنْ تريدون ؟ هؤلاء هم الفلاحون . جاؤوا يقابلون نيكولا ايفانوفتش .

لوبا : لقد خرج . انتظروه .

تانيا : والشِعْر ؟

لوبا : لا ، الموسيقا ثمينة بكونها تستولي علينا ، وتلفّنا وتحمْلنا إلى خارج الواقع . انظري ، كان كل شيء مظلماً ، فلما عزفت استنار كلّ شيء . لقد استضاءَ كلُ شيء حقاً . فالسات شوبان مهما كُرِّرتْ ، إلا أنها . . .

تانيا : خذي ، هذه . . .

(تعْزف) .

المشهد — ٤ —

« يدخل نيكولا ايفانوفتش . يتبادل التحيات مع تانيا وَستيوبا وليز ولوبا » .

نيكولا ايفانوفتش : أين الماما ؟

لوبا : أظنّ أنها في غرفة الأطفال . بابا ، لو تعلم ما أروع عزفَ تانيا . وأنتَ ، أينَ كنتَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : في القرية .

ستيوبا ، ينادي الخادم الذي يدخل : هات سماوراً آخر .

نيكولا ايفانوفتش مصافحاً الخادم : طابَ يومُكَ .

(يخرج الخادم مرتبكاً . يخرج نيكولا ايفانوفتش أيضاً) .

ستيوبا : مسكين آثناس . لقد اضطربَ اضطراباً عميقاً . لم يفهم شيئاً من ذلك . بدا له أننا قد أذنبْنا بشيء ما .

نيكولا ايفانوفتش ، عائداً إلى الصالة : كنتُ ذاهباً إلى غرفتي ونسيتُ أن أقول لكم ما أفكّر فيه . أظنُّ أنني أخطأتُ . (لتانيا) . سامحيني إن كان ما أقوله يجرحُكِ ، لأنكِ ضيفُنا ، لكني لا أستطيع أن امتنع عن التصريح به . كنتِ تقولين ، يا لوبا ، إن الأميرة تعزف عزفاً رائعاً ؛ ها أنتم هنا سبعة رجال ونساء أو ثمانيةٌ أصحاء ؛ نِمتُمْ حتى الساعة العاشرة ، وشربتم وأكلتم ، وما زلتم تأكلون ، وتعزفون وتتحدّثون عن الموسيقا ؛ في حين أن الناس هناك ، من حيث عدتُ في هذه اللحظة مع بوريس الكسيفتش ،

نهضوا منذ الساعة الثالثة صباحاً ، بل إن بعضهم لم ينم الليل ؛ المسنّون ، والمرضى ، والضعفاء والأولاد ، والنساء اللواتي يُرْضعن ، والنساء الحوامل ، يعملون بأقصى قواهم لكي نعيش نحن هنا من ثمار كدّهم . وأكثر من ذلك : إن أحدهم ، وهو آخر عامل في الأسرة ، العامل الوحيد فيها ، سيُسْجَنُ بعد قليل ، لأنه قَطَعَ في هذا الربيع ، من الغابة التي يُزْعَم أنها لي ، صنوبرةً من مئات آلاف الأشجار التي تنبت فيها . نحن هنا قد اغتسلنا جيداً ، ولبسنا جيداً ، وتركنا في غرفنا أوساخنا وكلّفنا بها عبيدنا ، وها نحن نأكل ونشرب ونتناقش حول شومان وشوبان ، لكي نقرّر من الذي يؤثّر فينا أكثر ، ويطرد متاعبنا قبل غيره . فكرتُ في ذلك وأنا أمرّ قربكم ، ولذلك قلته لكم . فكّروا إذنْ : أيجوز أن نعيش هكذا ؟

(ينهض مضطرباً) .

ليز : هذا حق ، هذا . حقّ .

لوبا : إذا فكّرنا هكذا ، فلا يمكن أن نعيش بعدُ .

ستيوبا : ولم ذاك ؟ لا أعلم لماذا لا نتكلّم عن شومان إذا كان الشعبُ فقيراً . هذا لا يَمْنع ذاك . إذا كان الناسُ ...

نيكولا ايفانوفتش ، بغضب : إذا كان الإنسان بلا قلب ، إذا كان من خشب . .

ستيوبا : دَعْنا ، سأسكت .

تانيا : المسألة رهيبة ، إنها مسألةُ عصرنا ؛ يجب ألا نخشاها ، بل يجب أن نُواجهها مواجهةً ، لنجدَ لها حلاً .

نيكولا ايفانوفتش : لا يجب أن نتوقّع حلها بتدابير عامة . كل واحد منا قد يموت اليوم أو غداً ؛ فكيف نحيا دون أن نتألم من هذا الشِقاق الداخلي الحميم ؟

بوريس : طبعاً ، ليس هناك سوى سبيل واحدة ، هو ألا نشارك في ذلك أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : سامحوني إذا جرحتُكم . لم يكن بوسعي ألاّ أقول ما أشعر به .

(يخرج) .

ستيوبا : وكيف لا نشارك في ذلك أبداً ؟ كل وجودنا مرتبط به .

بوريس : هذا بالضبط ما قاله ؛ يجب قبل كل شيء ألا نمالك شيئاً ، وأن نغيّر كل حياتنا ، وأن نَحْيا لا بحيث يَخْدمُكَ الآخرون ، بل بحيث تَخْدمُ الآخرين .

تانيا : هيّا ، أرى أنك تبنّيت تماماً أفكار نيكولا ايفانوفتش .

بوريس : نعم ، فهمتُها قبل قليل لأول مرة . ثم إن ما رأيتُه في القرية ... ما علينا إلا أن نرفع هذه النظّارات التي ننظر بها إلى حياة الشعب وندرك صلة آلامهم بأفراحنا ، هذا كل ما في الأمر .

ميتروفان ايرميليتش : نعم ، لكن الوسيلة ليست في إلغاء وجودنا .

ستيوبا : هذا مدهش: نحن وميتروفان ايرمولتش في قطبين متعارضين ،

وقد اتفقنا . فكلماته نفسُ كلماتي : لا يجب أن نُلغي حياتنا .

بوريس : بالتأكيد . فكلاكما ترغبان في أن تعيشا عيشةً رغيدة ، ولذلك تريدان أن تنظّما حياتكما بشكل يضمن هذا الرغد . (لستيوبا) أنتَ تريد أن تحافظ على النظام الحالي ، وميتروفان ايرمليتش يريد أن يُغيّره .

(لوبا تحدّث تانيا بصوت خفيض . فتذهب تانيا رأساً إلى البيانو وتعزف ليليّةً من ليليّات شوبان . يصمتُ الجميع) .

ستيوبا : هذه جميلةٌ حقاً . هذه تحلّ كل شيء .

بوريس : بل إنها ستنشر الظلام في كل شيء وتُعيد كلَّ شيء إلى ما كان عليه .

(أثناء العزف تدخل ماري ايفانوفنا والأميرة بهدوء وتجلسان لتستمعا . قبل انتهاء الليليّة يُسْمع صوت الجلاجل) .

لوبا : هذه خالتي .

(تمضي إلى لقائها . تستمرّ الموسيقا . تدخل آلين ايفانوفنا والأب جيراسيم حاملاً صليباً على صدره ، ومعهما الكاتب العدل . ينهض الجميع .

الأب جيراسيم : تابعي ، أرجوك ؛ فهذه الموسيقا لطيفة .

(تقترب الأميرةُ منه لتطاب مباركته ، وكذلك الكاهن الشاب) .

آلين ايفانوفنا : فعلتُ ما كنتُ أنوي فعله من قبل . ذهبت إلى الأب جيراسيم وأقنعتُه بالمجيء . سيُسافر إلى كورسك ،

نجحتُ في مشروعي . الكاتبُ العدل هنا والأوراق جاهزة ، ولم يبقَ سوى التوقيع .

ماري ايفانوفنا: ألا تريدين أن تتغدّي . (يضع الكاتبُ العدل الأوراق على الطاولة ويبتعد) . أنا ممتنّةٌ جداً للأب جيراسيم .

الأب جيراسيم : ماذا تريدين مني ؟ ليس هذا هو طريقي تماماً ، لكنني ، بشعوري المسيحي ، اعتبرتُ من واجبي أن آتي .

(تقول آلين أيفا نوفنا بضع كلمات بصوتٍ خافت للشباب . يتشاورُ جميع الشباب ويذهبون إلى المصطبة ، ما عدا بوريس ؛ يهمّ الكاهن أيضاً بالانصراف) .

الأب جيراسيم : ابقَ ؛ يمكنك أن تكون نافعاً ، كراعٍ وكأبٍ روحي ، ويمكن أن يُريحك هذا أيضاً . ابقَ إذا كانت ماري ايفانوفنا لا تعارض في ذلك .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لا ، أحبّ الأب فاسيلي كأحد أفراد عائلتي . وقد استشرتُه أيضاً ، لكن سلطته ما تزال محدودةً جداً ، بسبب سنّه .

الأب جيراسيم : بالتأكيد ، بالتأكيد .

آلين ايفانوفنا ، تقترب : يا أب جيراسيم ، أنت وحدك القادر على مساعدتنا وعلى إقناعه . إنه رجل ذكي ، عالم ، لكنك تعْلم أن العالم أقرب إلى الضرر ، في هذه الحالة . المسألة عنده نوعٌ من الضلال . فهو يزعم أن الإنسان لا ينبغي أن يملك شيئاً ، بحسب العقيدة المسيحية . هل هذا ممكن ؟

الأب جيراسيم : الإغواء ، وكبرياء الفكر ، والعصيان ، كل ذلك شَرَحَهُ آباءُ الكنيسة شرحاً وافياً . لكنْ كيف وقَعَ ذلك كله ؟

ماري ايفانوفنا: إن كان لا بدّ من رواية كل شيء ... عندما تزوّجنا كان غيرَ مبال بالدين ، وعشْنا هكذا ، عشْنا عيشةً حسنةً ، أفضل سني حياتنا ، العشرين سنةً الأولى . ثم أخذ يفكّر . ولعل ذلك كان بتأثير أخته أو قراءاته ، لكنه أخذ يفكّر ويقرأ الإنجيل ، وحينئذ أصبح متديّناً جداً ، وأخذ يتردّد على الكنائس والأديرة . ثم هجر كل شيء فجأةً ، وغيرّ نَمطَ حياته كليّاً ؛ وأخذ يعمل بنفسه ؛ وهو لا يسمح للخدم بخدمته ، وعلى الخصوص وزّع ثروته . وهَبَ أمس غابةً وأرضاً . أنا خائفةٌ . فعندي ستةُ أولاد . كلّمْهُ . سأسأله إن كان يرغبُ في مقابلتك .

(تخرج) .

الأب جيراسيم : كثيرون في أيامنا يبتعدون عن الكنيسة . هل الثروةُ له أو لزوجته ؟

آلين ايفانوفنا : له ، وهذه هي المصيبة .

الأب جيراسيم : ما رتبتُه ؟

الأميرة : رتبتُه ليست ذات شأن . أظنّه كان نقيباً .

الأب جيراسيم : كثيرون يبتعدون هكذا . كان ، في اوديسا ، سيدة شُغفت باستحضار الأرواح ، وبدأت تُسيء كثيراً . لكن الله ردّها إلى أحضان الكنيسة .

الأميرة : وافهمْ ، على الخصوص ، هذا الشيء ، سيتزوّج ابني بابنته . وقد وافقتُ على ذلك . لكن البنت تعوّدت الترف ، ويجب أن تكون حياتُها مضمونة ، لا أن تكون عبئاً ثقيلاً على ابني ، بالرغم من أنه شابٌ شغّيل ومرموق من كل الوجوه .

(تدخل ماري ايفانوفنا ، يتبعها نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : طاب يومُكِ ، يا أميرة . (للكاهن) . اعذرني ، ما اسمك ؟

الأب جيراسيم : ألا ترغب في أن أباركك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا أرغبُ في ذلك .

الأب جيراسيم : اسمي جيراسيم فيودوروفتش . أنا سعيدٌ جداً .
(يقدّم خادمٌ وجبةَ طعام خفيفة وخمراً) . الطقس لطيف ومساعدٌ على الحصاد .

نيكولا ايفانوفتش : أظن أنك جئتَ بناءً على دعوة آلين ايفانوفنا لكي أنصرف عن أخطائي وأعود إلى الطريق المستقيمة . وإذا كان الأمرُ كذلك ، فمن غير المجدي سلوك سبل ملتوية ، والأفضل الاتجاهُ رأساً إلى الهدف . لستُ أنكر أني على خلافٍ مع تعاليم الكنيسة ، كنتُ فيما مضى مؤمناً بهذه التعاليم ، ثم أقلعتُ عن هذا الإيمان ؛ لكني أطلبُ من كل قلبي اتّباع الحقيقة ، وسوف أقبلُ بها على الفور ، إن أريتَني إياها .

الأب جيراسيم : كيف يمكناك أن تقول : إنك لا تؤمن بتعاليم الكنيسة ؟ وبماذا يمكن أن نؤمن ، إن لم يكنْ بالكنيسة ؟

نيكولا ايفانوفتش : بالله وشريعته التي أعْطينا إياها في الإنجيل .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعلّم هذه الشريعة .

نيكولا ايفانوفتش : لو كانت تعلّمها لآمنت بها ، لكنها تعلّم الضدّ .

الأب جيراسيم : لا يمكن للكنيسة أن تُعلّم الضد . لأن الربّ ذاته قد أقامها ؛ وقد جاءَ : « أُعطيكم سلطاناً ، وشياطين الجحيم لا يقدرون أن يغلبوكم » .

نيكولا ايفانوفتش : قيل هذا بمناسبة شيء آخر تماماً . وإذا اعترفنا حتى بأن المسيح أقام كنيسة ، فكيف أستطيع أن أعلم أنها كنيستكم بالذات ؟ . .

الأب جيراسيم : لأنه قد جاء : « حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ...»

نيكولا ايفانوفتش : وهذا أيضاً قيل بمناسبة شيء آخر ولا يدلّل على شيء .

الأب جيراسيم : كيف يمكن أن نتنكّر للكنيسة ؟ فهي وحدها تملك النعمة .

نيكولا ايفانوفتش : لم اتنكّرْ لها حتى اقتنعتُ بأنها تَسْند ما هو ضدّ المسيحية .

الأب جيراسيم : لا يمكن أن نُخطىء لأن الحقيقة فيها وحدها . الذين ابتعدوا عنها هم في الخطأ ، أما الكنيسة فمقدّسة .

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لك إنني لا أعترف بذلك ، لأنه قد جاءَ

في الإنجيل « من أعمالهم تعرفونهم ، من ثمارهم تَعْرفونهم»
وقد علمتُ أن الكنيسة تبارك اليمين ، والقتل ، والإعدام .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعترف بالسلطات التي أقامها الله ، وتباركها ..

(أثناء هذا الحديث يدخل بالتتالي : ستيوبا ، لوبا ، ليز ، تانيا ، يتخذون أماكن لهم ويجلسون ليستمعوا) .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم أنه لم يجىءْ في الإنجيل فقط « لا تقتل » ، بل قد جاء : « لا تغضبْ » . والكنيسة تبارك الجيوش .
جاء في الإنجيل : « لا تَحْلفْ » ، والكنيسة تطالب اليمين .
وجاء في الإنجيل . . .

الأب جيراسيم : عفْوكَ . عندما يقول بيلاطس : « أحلّفكَ بالاله الحي » يعترف المسيح باليمين مجيباً : « أنتَ قلتَ ذلك ، أنا هو » .

نيكولا ايفانوفتش : دَعْك من هذا ، ماذا تقول ؟ هذا مُضحكٌ حقاً !

الأب جيراسيم : ولذلك فالكنيسةُ لا تسمحُ لكل واحد أن يفسّر الإنجيل ، لكي لا يَضلّ ؛ إنها حريصةٌ على أبنائها كالأم ، وتقدّم لهم التفسيرات الملائمة لوسائلهم . لا ، دَعْني أنهِ كلامي . الكنيسة لا تُرهق أبناءها بأحمالٍ فوق طاقاتهم ، لكنها تطالب إتمام الوصايا ؛ أَحِبَّ ، لا تقتلْ ، لا تسرقْ ، لا تزنِ .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تقتلْني ، لا تسرقْ مني ما سرقْتُه .
نحن جميعاً سرقْنا الشعب ، سرقْنا منه الأرض ، ثم

أسَسْنا القانونَ ، القانون الذي يمنع السرقة . والكنيسةُ تبارك ذلك كله .

الأب جيراسيم : الإغواء والكبرياء والروح تتكلّم فيك . أنتَ بحاجةٍ إلى أن تتباهى بروح الكبرياء .

نيكولا ايفانوفتش : كلا ؛ أنا أسألكَ كيف ينبغي لي أن أتصرّف بموجب الشريعة المسيحية ، عندما أعترف بأنني أثمْتُ حين نهبتُ الشعب واستوليتُ على الأرض . ماذا ينبغي أن أفعل ؟ أأستمر في امتلاك الأرض ، فأستفيد من عمل الجياع ، وأُعدّهم لهذا الشيء (يشير الخادم الذي يقدّم الوجبةَ والخمر) . أو أُعيدُ الأرض إلى الذين انتزعَها منهم أجدادي .

الأب جيراسيم : يجب أن تتصرّف بحسب ما يليق بابن الكنيسة . لك أسرةٌ وأولاد ، فعليك أن تنفق عليهم وتربّيهم بحسب طبقتهم .

نيكولا ايفانوفتش : لماذا ؟

الأب جيراسيم : لأن الله قد وضعك في هذا الوضع . وإذا شئتَ أن تفعل الخيرَ فافعلْه ، أعْطِ جزءاً من ثروتك ، زُرْ الفقراءَ . . .

نيكولا ايفانوفتش : وما الذي قيل ، مع ذلك ، للشاب الغني : إن الغني لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات(١) ؟

---

(١) ملكوت السموات : الا ستشهاد غير دقيق متى ١٩ – ٢٣ .

الأب جيراسيم : لقد جاء : « إذا شئت أن تكون كاملاً » .

نيكولا ايفانوفتش : لا ريب أنني أريد أن أكون كاملاً . فقد جاءَ في الإنجيل : « فكونوا أنتم كاملين ، مثل أبيكم السماوي » .

الأب جيراسيم : يجب أن نفهم أيضاً بأية مناسبة قيل هذا .

نيكولا ايفانوفتش : أنا أسعى أيضاً إلى أن أفهم . وكل ما قيل في الموعظة على الجبل ، بسيطٌ ومفهوم .

الأب جيراسيم : هذه كبرياء الروح .

نيكولا ايفانوفتش : لكن أين الكبرياء إذا كان قد قيل : إن ما أُخفي عن الحكماء قد أُظْهر للصغار ؟

الأب جيراسيم : أظهر للمتواضعين لا للمتكبرين .

نيكولا ايفانوفتش : لكن مَنْ المتكبّرُ ؟ أهو أنا ، وأنا أعتبر نفسي إنساناً كسائر الناس ، إنساناً ينبغي أن يعيش بسبب ذلك كما يعيش الجميع ، من عمله ، في نفس الشقاء كاخوته؛ أم الذين يعتبرون أنفسهم كائنات متميّزة ، كهنةً يعرفون الحقيقة كلها ، ولا يمكن أن يُخطئوا ، ويفسّرون كلام المسيح على طريقتهم ؟

الأب جيراسيم ، وقد جُرِحَ : عفوك : لم أجىءْ لأناقش معك مسألةَ : مَنْ المحقّ ؟ ولم أجىءْ أيضاً لأستمع إلى ارشادات . لقد جئتُ إلى هنا ، بناءً على رجاء آلين ايفانوفنا ، لأحدّثك . وأنتَ تعرف كل شيء خيراً مني ؛ ومن الأفضل أن نقفل باب حديثنا . وأنا أطلبُ منك للمرة الأخيرة . بجاه الله ،

ثُبْ إلى رشدك ، أنتَ مخطىء خطأً فادحاً ، وأنت تُضيع نفسك .

ماري ايفانوفنا: ألا تريد أن تتناول شيئاً ؟

الأب جيراسيم : أشكركِ .

(يخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ماري ايفانوفنا ، للكاهن الشاب : ما الذي سيحدثُ الآن ؟

الكاهن : برأيي أن نيكولا ايفا نوفتش قد تكلّم كلاماً صحيحاً ، ولم يستطع الأب جيراسيم أن يعثر على حجّة مقنعة .

الأميرة : لم يدعْهُ يتكلم ، ثم إنه استاء ، على وجه الخصوص ، حين رأى أنْ قد نُظِّمَ نوعٌ من المباراة . كان الجميعُ يصغون . واضطرّه تواضُعه إلى الانسحاب .

بوريس : لم ينسحب بسبب التواضع ، بل إن كل ما قاله خطأ . فمن البهديهي أنه لم يجد ما يقوله .

الأميرة : ألاحظ أن تقلّبك المعتاد أخذ يدفعك إلى موافقة نيكولا ايفانوفتش . إذا كنتَ تشاطره أفكاره فلا حاجةَ بك إلى الزواج .

بوريس : أنا لا أقول إلا شيئاً واحداً ، أن ما هو حقٌ حقٌ ، ولا يمكنني أن امتنع عن قوله .

الأميرة : أنت آخر من يحق له أن يقول هذا . .

بوريس : ولِمَ ذاك ؟

الأميرة : لأنك فقير ولا شيء عندك تردّه – على كل حال : كل هذا لا يخصّنا نحن .

(تخرج ، يتبعها الجميع ما عدا نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش ، يظل متفكّراً ثم يبتسم لأفكاره : ماري ، لم ذلك ؟ ما الفائدة من دعوة هذا الرجل الضال والجدير بالرثاء . هذه المرأة الصخّابة وهذا الكاهن لمَ يشاركان في حياتنا الداخلية الحميمة ؟ ألا نستطيع أن نتدبّر أمورنا وحدنا ؟

ماري ايفانوفنا : ماذا تريد مني أن أفعل وأنت تريد أن تسلب أولادَك كلّ ما عندهم ؟ لا يمكنني أن أحتمل ذلك بهدوء . لأنك تعلم أنْ لا مصلحة لي ، ولا أحتاج إلى شيء لنفسي .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم ذلك ، أعلم ذلك وأصدّقك . لكن المصيبة أنكِ لا تؤمنين بالحقيقة . أعلم أنك ترينها لكنك لم تصمّمي على الإيمان بها . لا تؤمنين بالحقيقة ولا بي . لكنك تؤمنين بكل الناس ، بالأميرة وغيرها .

ماري ايفانوفنا: أنا أومن بك ، وقد وثقتُ بك دائماً ، لكنك تريد أن تلجىء أولادَك إلى التسوّل .

نيكولا ايفانوفتش : هذا الدليلُ على أنك لا تؤمنين . أتظنّين أنني لم أخضْ صراعاً ولم ألقَ خوفاً ؟ وأنا ، الآن ، مقتنع أن ذلك ليس ممكناً فحسب ، بل هو ضروريّ ، هو الشيءُ الضروري الوحيد والصالح للأولاد . أنتِ تقولين :

لو لم يكن لنا أولاد لتبعتِني ، أما أنا فأقول : لو لم يكنْ لنا أولاد لكان من الممكن أن نعيش كما تعيشين . إذ ذاك لن نُهلك سوى نفسينا ، أما الآن فنحن نُهلكهم .

ماري ايفانوفنا: ما حيلتي إذا لم أفهم ؟

نيكولا ايفانوفنا : وأنا أيضاً ، ماذا علي أن أفعل ؟ لأنني أعلم لماذا جئتِ بهذا الرجل المسكين الذي يرتدي جبّةً ، هذا الرجل الذي يحمل الصليب ؛ وأعلم أيضاً لماذا جاءت آلين بالكاتب العدل. تريدون أن أنقل إليكِ أملاكي. ليس بوسعي أن أفعل ذلك ! تعلمين أنني أحبك منذ خمسة وعشرين عاماً من حياتنا المشتّركة ، أحبّك وأريدُ لك الخير ، ولذلك لا أستطيع أن أوقّع هذه الهِبَةَ . وإذا ما فعلت ذلك فالمصالحة الذين نُهبوا ، لمصلحة الفلاحين . لا يمكنني أن أتصرّف كما ترغبين ؛ يجب أن أعيد إليهم الأرض . جاء الكاتبُ العدل في الوقت المناسب وسأفعل ذلك .

ماري ايفانوفنا : آه ! هذا فظيع ! لمَ أنتَ قاس إلى هذا الحد ؟ تعتبر ذلك خطيّةً . حسناً ! أعطني أنا !

(تبكي)

نيكولا ايفانوفتش : أنتِ لا تعلمين ما تقولين . إذا كنتُ سأهبكِ أنتِ فإن يمكنني أن أعيشَ معك . وعليّ أن أسافر . لا يمكنني الاستمرار في العيش ، ضمن هذه الشروط .

لا يمكنني أن أرى الناس يُظلَمون ويوضعون في السجن ، باسمكِ ، لأن اسمك سيحلّ محلّ اسمي . اختاري .

ماري ايفانوفنا : ما أقساكَ ! لا يمكنني أن أعيشَ كما تريد . لا يمكنني أن أنتزع من أولادي لأعطي أيّا كان . لمَ تريد أن تهجرني ؟ حسناً ! اذهبْ . أرى أنك لم تعدْ تحبّني ، وأنا أعلمُ لماذا .

نيكولا ايفانوفتش : هيّا ، أنا موافق ، سأوقّع . يا ماري ، أنتِ تطالبين مني المستحيل . (يدنو من الطاولة ويوقّع) . أنتِ أردتِ ذلك . أنا لا أستطيع أن أعيش هكذا .

(يقف ، ويهمّ بالرحيل ، وأخيراً يهرب ممسكاً برأسه بين يديه) .

ماري ايفانوفنا ، منادية : لوبا ! آلين (تهرعان) . لقد وقّع ورحل ! ماذا يجب أن أفعل . قال إنه سيذهب وسيذهب . الحقا به .

لوبا : لقد رحَلَ .

ستار

الفصل الثالث

المشهد — ١ —

« تجري الأحداث في موسكو . غرفة كبيرة . منضدة للعمل طاولة مغطاة بالأوراق ، مكتبة . المرآة واللوحات محجوبة بالألواح الخشبية نيكولا ايفا نوفتش يشتغل على المنضدة . النجارُ المعلمُ ينجر » .

نيكولا ايفانوفتش ، عارضاً لوحاً : أهذا حسن ؟

النجار ، مصلحاً منجره : ألم يؤلمك هذا ؟ شدّ عليه أكثر هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، الأفضل أن نشدّ عليه أكثر . لكن ذلك لم يتأتّ لي بعد .

النجار : وماذا تُفيد سيادتك نجارةُ الأثاث ؟ نحن ، نجاري الأثاث ، من الكثرة بحيث نجد مشقّة في العيش .

نيكولا ايفانوفتش ، مستأنفاً العمل : أستحي أن أحيا في البطالة .

النجار : هل يناسبُ هذا العمل مكانتك . ولقد أعطاك الله الثروةَ .

نيكولا ايفانوفتش : أنني اعتبرُ أن الله لم يُعطِ شيئاً ، وأن الناس استولوا بأنفسهم على كل شيء ، ونهبوا اخوتهم .

النجار ، متردداً : نعم ، هذا صحيح ، لكن هذا العمل مع ذلك لا جدوى منه لك .

نيكولا ايفانوفتش : أفهمُ أن يبدو لكَ غريباً أن تراني أكسب رزقي ، في هذا البيت الذي يفيض بالكماليات .

النجار ضاحكاً : كلاّ ، أعرف مقاصد السادة من أمثالك . إنهم يريدون أن يعرفوا كل شيء . مَرِّر المنجرَ الآن .

نيكولا ايفانوفتش : أنت لا تصدق ، وستضحك ؛ لكني أقول لك : لم أكن أخجل قديماً من أن أعيش هكذا ، أما الآن بعد أن آمنت بشريعة المسيح الذي يقول إننا إخوة فأنا أخجل أن أعيش هكذا .

النجار : إن كنتَ تخجل فوزّعْ أملاكك .

نيكولا ايفانوفتش : أردتُ أن أفعل ذلك فلم أستطع ؛ وكان لا بدّ من أن أهبها امرأتي .

لوبا ، وراء الباب : بابا ، أيمكن أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ادخلي ، ادخلي ، الدخول مسموح دائماً .

لوبا ، تدخل : طاب يومُك ، جاك .

النجار : طاب يومكِ ، يا آنسة .

لوبا : عاد بوريس إلى الفوج . أخشى أن يقول أو يفعل ما لا تُحمَدْ عقباه . ما رأيكَ .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا يمكن أن يكون رأيي ؟ سيَفْعل ما يمليه عليه ضميرُه .

لوبا : هذا هو الشيء الرهيب . بقي له وقتٌ قليل لينتهي وسيُهلك نفسه .

نيكولا ايفانوفتش : أحسنَ صنعاً أنه لم يأتِ إليّ في طريقه ؛ فهو يعلم أنني لن أجد ما أقوله له إلا ما يعرفه بنفسه . قال لي هو نفسه : إن هذا هو ما أجْبره على تقديم استقالته ، وأنه يدرك جيداً أنه لا يوجد نمط حياة أكثر بعداً عن الشرعية ، وأشد قسوة ووحشيةً ، بل ليس هناك شيءٌ أكثر إذلالاً من الخضوع المطاق لشخص تافه هو رئيسك في الرتبة ... إنه يعلم ذلك كله .

لوبا : هذا هو بالضبط ما أخشاه ، أنْ يعلم ذلك . إنه ينوي التصرف بطريقة ما .

نيكولا ايفانوفتش : ضميرُه ، الرب الذي هو فيه ، هو الذي يقرّر ذلك . لو جاء واستشارني لأشرتُ عليه ألا يفعل شيئاً بطريق المحاكمة المنطقية ، بل عندما يتطلّب كيانُه كلُّه ذلك . فلا شيء أسوأ من ذاك . أنا مثلاً ، كنتُ أنوي أن أفعلَ ما يأمرني به المسيح : أن أترك أبي وزوجتي وأولادي(١) وأتْبعه ،وكنتُ مستعدّاً للذهاب . فكيف انتهى ذلك ؟ انتهى ذلك بأن عدتُ وبقيتُ معكم في المدينة ، محاطاً بالترف . ذلك لأنني أردت أن أفعل ما يتجاوز طاقتي ، وأنا أجدُ نفسي في وضع مُذلٍّ ، في وضع مُخزٍ . أحب أن أعيش ببساطة ، وأن أشتغل ، لكن ذلك يبدو كالمهزلة ، في هذا الجوّ من الخدم والحجّاب . خذي

(١) أترك أبي وزوجتي وأولادي : استشهاد غير دقيق بكلام المسيح .

مثلاً جاك نيكانوروفتش ، لقد رأيتُه يهزأ مني قبل قليل .

النجار : ولمَ تريدُ أن أهزأ منكَ ؟ أنت تدفع لي أجرتي وتسقيني الشاي . وأنا شديدُ الامتنان لك .

لوبا : فكّرتُ إن لم يكن من الأصحّ أن أذهب إليه .

نيكولا ايفانوفتش : يا عزيزتي ، يا حاوتي ، أعلم أن ذلك يشقّ عليك ،وأنك خائفة . وإن كان ينبغي ألا تخافي . أنا رجل فهم الحياة . لن يقع شيءٌ من السوء . كل ما يبدو سوءاً لا يمكن إلا أن يُبهج القلبَ . حاولي أن تفهمي .
أن الإنسان الذي سلَكَ هذه الطريق مجبرٌ على الاختيار . نحن أمام حالات تتعادل فيها كِفّتا المصالح الإلهية والمصالح الشيطانية ، وتتذبذبان . وسيتمّ هنا عمل من أعظم الأعمال الإلهية . كلُّ تدخّل فهو خَطِرٌ وشاق . إن المرء يبذل جهداً عظيماً ليجر حِمْلاً ، وأقل ملامسة قد تَحْطم ظهره .

لوبا : لكن لمَ نتألم ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا كقول الأم : لمَ الألم . الولادة لا تتمّ بلا ألم . وكذلك الأمر في الحياة المعنوية . أحب أن أقول لك شيئاً : بوريس مسيحيٌ حقيقي ، ولذلك فهو حر . وإذا لم تستطيعي أن تكوني مثله ، وإذا لم تستطيعي أن تؤمني بالله مثله ، فيجب أن تؤمني من خلاله : أن تؤمني به وبالله .

ماري ايفانوفنا ، من خلف الباب ؛ أيمكنني أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : الدخول مسموح دائماً . أرى عندي اجتماعاً حقيقياً اليوم .

ماري ايفانوفنا: وصَل الساعةَ كاهنُنا ، صديقُنا فاسيلي نيكانوروفتش وهو ذاهب إلى رئيس الأساقفة ليقدم إليه استقالتَه .

نيكولا ايفانوفتس : أممكنٌ هذا ؟ أهو هنا ؟ اذهبي ، لوبا ، وأحضريه . (تخرج لوبا) .

ماري ايفانوفنا: جئتُ ، في الوقت نفسه ، لأكلّمك عن فانيا . إن سلوكه سيء جداً وعمله رديء جداً بحيث انه لن يستطيع أبداً النجاحَ من صف إلى صف . كلّمتهُ عن ذلك فرد علي رداً غير لائق .

نيكولا ايفانوفتش : تعلمين ، يا ماري ، أني لا أتعاطف مع نمط الحياة الذي تعيشينه ولا مع الطريقة التي يُربّى بها الأولادُ . المسألةُ رهيبة ، بالنسبة إليّ : ألي الحقّ في أن أظل أنظر بعيني إلى هلاك . . .

ماري ايفانوفنا : لا بد في هذه الحالة من شيء آخر ، شيء محدّد . ما البديلُ الذي باستطاعتك أن تقدّمه .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أقوله لكِ . ولا أقول إلا شيئاً واحداً . أولا : يجب التخلّصُ من هذا الترف المفسد للأخلاق .

ماري ايفانوفنا: لكي يصبحوا فلاّحين . لا أستطيع أن أوافق على ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : إذن لا تسأليني عن شيء . إن ما يحزنك كثيراً لا بد أن يكون . . .

(يدخل الكاهن ؛ يقبل نيكولا ايفانوفتش)

نيكولا ايفانوفتش : انتهيتَ من ذلك إذن ؟

الكاهن : ما عدتُ أطيق .

نيكولا ايفانوفتش : لم أكن أتوقع الأمر بهذه السرعة .

الكاهن : لم يكن ممكناً غيرُ ذلك . ففي وضعنا لا يجوز أن نظلّ غير مُبالين . لا بد من سَماع الاعتراف ومن المناولة ؛ لكن عندما أدركت أن هذه الطريق ليست الطريق الحقيقية . . .

نيكولا ايفانوفتش : وماذا ستفعل الآن ، إذن ؟

الكاهن : سأذهب إلى رئيس الأساقفة الذي سيمتحنني . وأنا خائف جداً من أن ينفيني إلى دير سولوفكي(١) . فكرتُ حيناً بالهرب إلى الخارج ، وطلب مساعدتك . ثم غيّرتُ رأيي. الجُبن ! وأخيراً ، فان امرأتي . . .

نيكولا ايفانوفتش : وأين هي ؟

الكاهن : هي عند أبيها . كانت أمها عندنا وقد أخذت الصغار . هذا مؤلم جداً . وددتُ لو . . .

(يتوقف ويحبس دموعه) .

نيكولا ايفانوفتش : ليكن الله في عونك ! هل نزلتَ إلى بيتنا ؟

---

(١) دير سولوفكي : دير في جزر البحر الأبيض . وكان الكهنة العصاة ينفون إليه .

آلين ايفانوفنا ، تحمل رسالةً : هذه لكَ ، نيكولا ايفانوفتش ، حملها الساعةَ شخصٌ خصيصاً لك . — آه ! أبانا !

الكاهن : لم أعدْ كاهناً ، آلين ايفانوفنا .

آلين ايفانوفنا : أممكن هذا ؟ أية غلطة فادحة ارتكبتَ ؟

الكاهن : لكني وجدت ديننا تنقصُه بعض الأشياء .

آلين ايفانوفنا : آه ! يا إلهي ، أية خطيئة ! هذا مع انك رجلٌ طيّب السريرة ! وها أنت تقع في الخطأ . نيكولا ايفانوفتش إنما هو السبب دائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس نيكولا ايفانوفتش ، بل المسيح .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا حسن ، لكن لماذا الإنحراف عن الديانة الارثوذكسية ؟ كل هذا حسن ، وأنا أعلم أنك تفعله بنية حسنة . لكنك تهلك روحك .

نيكولا ايفانوفتش ، بينه وبين نفسه : كنتُ أتوقّع ذلك . لكن ما العمل ؟

آلين ايفانوفنا : ماذا تقول ؟

نيكولا ايفانوفتش ، يقرأ : هذه رسالة من الأميرة . وهذا ما كتبَتْه : « رَفَضَ بوريس أن يستأنف خدمته ، وقد وُضع تحت الحجز . لقد أضعتَه ، فينبغي أن تُنْقذه . وهو في ثُكْنة كروتيزي(١) » .

---

(١) ثكنة كروتيزي : في كروتيزي ، حي من موسكو .

نعم يجب أن أذهب لأراه ، إن أرادوا أن يسمحوا لي بذلك .

(يرفع مئزره ، ويرتدي سترته ويخرج) .

المشهد — ٢ —

« مكاتب . كاتب الدائرة ، حارس يتمشى جيئةً وذهاباً ، عند الباب المواجه . يدخل جنرال يتبعهُ مساعدُه . ينهض الكاتب بعجلة ، يقدّم الجنديُ السلاحَ » .

الجنرال : أين العقيد ؟

الكاتب : دُعي من أجل أحد المجنّدين الأغرار ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : طيب ، ارْجُهُ أن يأتي .

الكاتب : بأمرك ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : ماذا تنسخ هنا ؟ أهي شهادة ذلك المجنّد ؟

الكاتب : بالضبط ، يا صاحب السيادة .

(يسلّمه الكاتبُ الأوراق ويخرج) .

الجنرال ، يسلّم الأوراق إلى مساعده: اقرأْ ، من فضلك .

المساعد ، يقرأ: « جواباً عن الأسئلة التي طُرحتْ علي بصدد :

(١ً) لماذا لا أريد أداءَ القسم .

(٢ً) لماذا أرفض أوامرَ الحكومة .

(٣) ما حَملَني على التفوّه بألفاظ جارحة لا للساطة

العسكرية بل لكل الساطات ؟أقول جواباً عن السؤال الأول : « لا أؤدي القسم لأنني أومن بعقيدة المسيح . لأن ذلك ممنوعٌ صراحةً في عقيدة المسيح ، في انجيل متى ٥ ، – ٢٣ – ٣٧ ، وفي رسالة القديس يعقوب ٥ ، ٥ ، ١٢ » .

الجنرال : يريدون أن يجادلوا ، هم يناقشون على طريقتهم .

المساعد ، يتابع قراءته : « جاء في انجيل متى ٥ ، ٣٧ بل ليكنْ كلامكم : نعم ، نعم ، لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير » . وفي رسالة يعقوب : « ولكنْ قبل كل شيء ، يا إخوتي ، لا تَحْلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ؛ ولكن لتكنْ نعـَمكم نعم ، ولا كم لا لئلا تقعوا تحت دينونة » . وأكثر من ذلك ؛ في الإنجيل إشارةٌ إلى أننا يجب ألا نحاف يميناً ؛ لكنْ حتى لو لم يكن ذلك موجوداً لما أقسمتُ اليمين بتنفيذ مشيئة البشر ، لأنني يجب أن أنفـّذ ، بحسب الشريعة المسيحية ، مشيئة الله التي قد لا تتفق مع مشيئة البشر » .

الجنرال : وهم يجادلون أيضاً . لو أصغوا إليّ لما وقـَعَ ذلك .

المساعد ، يقرأ: « أرفضُ أن أنفـّذ مطالبَ البشر الذين يُسمـّون الحكومة ، لأن . . .

الجنرال : يا للوقاحة !

المساعد : « لأن هذه المطالب مجرمةٌ ووحشيـّة . يـُرادُ مني أن أدخل الجيش وأن أتعلـّم القتل وأستعدّ له ، بينما يمنعني من

ذلك العهد القديم والجديد ، وضميري على الخصوص .
وعن السؤال الثالث . . .

(يدخل العقيد ووراءه الكاتب . يشد الجنرال على يده) .

العقيد : أكنت تقرأ الشهادة ؟

الجنرال : نعم ، كلام مُهين بشكل لا يُغتفر . هيّا ، تابع .

المساعد : « وعن السؤال الثالث : ما الذي حمَلَني أثناء الجلسة على التلفّظ بكلمات مهينة ؟ أجيبُ : إن الذي حملني على ذلك هو رغبتي في خدمة الله ، والتنديد بالكذب الذي يتمّ باسمه . وآملُ أن أحتفظ بهذه الرغبة حتى موتي . لأجل هذا . . .

الجنرال : دَعْني ، هذا كاف ، فلا حاجةَ بنا إلى سماع هذه الثرثرة . المهم خصوصاً أن نقتلع الشر وأن نعمل بحيث لا يُفسد البشر (للعقيد) هل كلّمتَه ؟

العقيد : كلّمتُه طوال الوقت . حاولتُ نُصحَه ، وإقناعه بأن الأمور ستزداد سوءاً بالنسبة إليه ، وانه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من هذه الناحية . حدّثتُه عن أسرته . انفعل انفعالاً شديداً ، لكنه كان يكرّر الشيءَ نفسه .

الجنرال : اخطأتَ لأنك تكلّمت كثيراً . نحن عسكريون لا نناقش بل نعمل . استدعوه .

(يخرج المساعد العسكري مع الكاتب) .

الجنرال ، يجلس في مقعد : لا ، عقيد ، ليس كذلك يجبُ أن تُعامَلَ

هذه الكائنات . يجب اتخاذ تدابير حاسمة ، لكي نبْتر العضو المريض . النعجة الجرباء قد تُعدي قطيعاً . لا داعي للتصرف برفق ؛ أن يكون أميراً ، أن تكون له أم ، أن تكون له خطيبة ، كل ذلك لا يَعْنينا . أمامنا جندي ويجب تنفيذ المشيئة العليا .

العقيد : كنتُ أظنّ فقط أن من الأسهل نصحه .

الجنرال : أبداً لا . لا شيء إلا القرار ، القرار وحده . مرّ بي واحدٌ من النوع نفسه . يجب أن يحسّ أنه تافه ، وأنه ليس سوى ذرّة من الغبار تحت عربة ، وأنه لا يستطيع أن يوقفها .

العقيد : يمكننا أن نحاول دائماً .

الجنرال ، وقد بدأ يحتدّ : ليس ضرورياً على الإطلاق أن نحاول . لا حاجة بي إلى المحاولة . إني أخدم مليكي منذ أربعة وأربعين عاماً ، بذلتُ حياتي وسأبذلها في هذه الخدمة ، وها إن صبياً يريد أن يملي علي سلوكي ! إنه يلقي علي نصوصاً دينية ! عليه أن يناقش ذلك مع الكهنة ؛ أما معي ، فليس سوى شيء واحد : أن يكون جندياً أو سجيناً . هذا كل ما في الأمر .

(يدخل بوريس بين حارسين ؛ يتبعه المساعد العسكري) .

الجنرال ، مشيراً بأصبعه : أَجْلسْهُ هنا .

بوريس : لستُ بحاجة إلى أن يجلسني . سأقف أو سأجلس حيثُ أشاء ، لأنني لا أعترف بسلطتك . . .

الجنرال : اسكتْ ! لا تريد أن تعترف بسلطتي ؟ سأُكرهك على أن تعترف بها !

بوريس ، جالساً على كرسي : كم تخطىء حين تصرخ .

الجنرال : أَنْهضْه ، وأجلسه هنا .

(يجبره الجنديان على الوقوف) .

بوريس : تستطيعون أن تفعلوا ذلك . تستطيعون حتى أن تقتلوني ، أما أن تجبروني على طاعتكم . . .

الجنرال : اسكتْ ! واسمعْ ما سأقوله لك .

بوريس : لا أريد أن أسمع ما ستقوله أنتَ لي .

الجنرال : لكنه مجنون ! يجب إرساله إلى المستشفى ليُفْحَصَ . لم يَبْقَ ما نفعله غير ذلك .

العقيد : أُعْطِيَ الأمرُ لاستجوابه عند الدرك .

الجنرال : حسناً ! أرسلوه ، لكن يجب إلباسُه .

العقيد : هو يأبى ذلك .

الجنرال : ليوثَقْ . (لبوريس) . اسمعْ ما أريد أن أقوله لك . أنا لا أبالي بما سيصيبُك . لكني أنصحُك ، لمصلحتك ، أن تفكّر . ستتعفّن في المعتقل . وستغدو بلا نفع لأحد . دعْك من هذا . لقد ثرتَ أنتَ وثرتُ أنا (يربت كتفه) . هيّا ، أقْسم اليمين ودعْ ذلك كله . (للمساعد) . هل الكاهنُ هنا ؟ حسناً ! ماذا ؟

(بوريس يلزم الصمت) .

الجنرال : لماذا لا تُجيب ؟ هذا أفضلُ الآن . لن يحطم السوطُ المراوة . احتفظْ بأفكارك لنفسك . ستنتهي مدةُ خدمتك . ولن نُسيء معاملتك . ما رأيكَ إذن ؟

بوريس : لم يَبْقَ لديّ ما أقولُه . قلتُ كلّ ما عندي .

الجنرال : تقول إن الإنجيل يحوي هذه الآيةَ أو تلك . الكهنةُ هم الذي يعرفون ذلك . فحدّثْ الكاهنَ في ذلك ، ثم فكّرْ قليلاً . هذا أفضل . الوداع ، أمل أن ألقاك ، عندما اهنئك على كونك في خدمة القيصر . أَرسلْ الكاهن !

(يخرج . يتبعه العقيد والمساعد العسكري)

بوريس ، للكاتب والجنديين : أتسمعون كيف يتكلّمون ؟ هم يعلمون جيداً أنهم يخدعونكم . لا تَسْتسلموا لهم . اتركوا بنادقكم وامضوا . تعرّضوا للجَلْد بالسياط في كتائب التأديب ، ولا تكونوا خدماً لهؤلاء الكذّابين .

الكاتب : لا ينبغي لهذا أن يكون . لا نستطيع الاستغناء عن العسكريين . هذا مستحيل .

بوريس : وكيف لاينبغي أن نجادل ؟ لا بد من ذلك لكي نعلم ما يريده الله منا . لكن الله يريد أن . . .

أحد الجنديين : وكيف يُعلنون إذن : « المحاربون المحبون للمسيح(١) . » .

---

(١) المحاربون المحبون للمسيح : منذ العصور الوسطى كانت تستخدم في الصلوات هذه العبارة المترجمة عن اليونانية : « فيلوكريستون ستراتوما » .

بوريس : لم يَرِدْ هذا الكلام قط. الكذّابون هم الذين اخترعوا هذا .

أحد الجنديين : يجب أن يكون رؤساء الأساقفة عالمين بذلك .

(يدخل ضابط درك يتبعه كاتب) .

ضابط الدرك ، للكاتب : هل المجنّد الأمير تشيريمشانوف هنا ؟

الكاتب : ها هو ذا ،

الضابط : تعال إلى هنا . أأنت الأمير بوريس سيمينوفتش تشيريمشانوف الذي رفض أن يؤدي اليمين ؟

بوريس : أنا نفسي .

الضابط ، يجلس ، ويدلّه على كرسي في مواجهته : أرجوك أن تجلس.

بوريس : أعتقد أن حديثنا لا طائل منه .

الضابط : لا أعتقد . على الأقل لك . اسمع . لقد نُقِلَ إليّ أنك ترفض الخدمة العسكرية وأداء اليمين ؛ ولذلك يُشَكُّ بأنك تنتمي إلى الحزب الثوري . وهذا ما أريد أن أفحصه . إن كان ذلك صحيحاً فسنكون مجبرين على إبعادك عن الخدمة العسكرية ، وعلى نَفْيِكَ ، أو طردك ، بحسب درجة انضوائك إلى الثورة . . وإلاّ ، تركْناك للإدارة العسكرية . أترى ، أنا صريح معك ؛ وأنا أتكلّم على المكشوف ، وآمل أن تبدي لنا الثقة نفسها .

بوريس : اولاً ، ليس بوسعي أن أثق بالذين يَرْتدون هذا اللباس (يشير إلى البزّة العسكرية) . ثانياً ، إنك تقوم بمهمة لا

أقدّرها ، بل أنا اشمئز منها أعظم اشمئزاز . لكني لن أرفض الجواب عن أسئلتك . ما الذي تريد أن تعرفه ؟

الضابط : اسمحْ لي أولا : اسمك ووضعك ودينك ؟

بوريس : تعرفون ذلك كله ، ولن أجيب . ليس هناك سوى سؤال واحد شديد الأهمية عندي : لستُ بالذي يُسمّى ، ارثوذكسياً .

الضابط : فما دينُك ؟

بوريس : لا أستطيع تحديده .

الضابط : والحاصل ؟ . . .

بوريس : لنقل إنه الدين المسيحي بحسب الموعظة على الجبل .

الضابط : اكتبْ (الكاتبُ يكتب) . (لبوريس) . أتعترف بأنك تنتمي إلي دولة ما ، إلى وضع ما ؟

بوريس : لا ، لا أعترف بذلك . أعترفُ بأني إنسان ، خادمٌ لله .

الضابط : ولمَ لا تَعْترف بأنك عضو في الدولة الروسية ؟

بوريس : لأني لا أعترف بأية دولة .

الضابط : ما معنى كونك لا تعترف ؟ أترغب في هَدْم كل شيء ؟

بوريس : بلا شك ، أرغبُ في ذلك وأعمل من أجل ذلك .

الضابط ، للكاتب : اكتبْ . وبأية طريقة تعمل لذلك ؟

بوريس : طريقة التشهير بالرياء والكذب ، بنَشْر الحقيقة . قبل قليل ، عندما دخلتَ ، كنتُ أقول لهذين الجنديَّين ، إن عليهما ألا يؤْمنا بالكذب الذي يجرّونهما إليه .

الضابط : لكن هل تعترفُ بوسائل أخرى غير التشهير والإقناع ؟

بوريس : لا ، لستُ أنكر فقط أية وسيلة أخرى ، بل أنا أعتبر كلّ عنفٍ أكبر الآثام . لا العنف وحده ، بل الخداع والاحتيال أيضاً .

الضابط : طيّب ، يا سيدي . والآن اسمحْ لي أن أعرف أسماء أصدقائك . أتعرف ايفاشنكوف ؟

بوريس : لا .

الضابط : أتعرف لكين ؟

بوريس : سمعتُ عنه ، لكني لم أره قط .

(يدخل كاهن) .

الضابط : أظنني انتهيت . وأعترف بأنك لست خطراً وأنك خارجٌ عن اهتمام دائرتنا . أتمنّى أن يُخلى سبيلُك على الفور . تحيتي لك .

(يصافحه) .

بوريس : أودّ أن أقول لكَ شيئاً . عفوكَ ، لكني لا أستطيع أن امتنعَ عن قوله : لمَ اخترت مثلَ هذه المهنة السيئة والمُسيئة ؟ لو سألتني لنصحتُكَ بالتخلي عنها . . .

الضابط ، مبتسماً : أشكرك للنصيحة . كانت لي بواعثي . تحيتي أعطيك مكاني ، أيها الأب .

(الكاهن المسنّ ، يحمل الصليب والإنجيل . يطلب الكاتب مباركته) .

الكاهن : كيف تسبّب المتاعب لرؤسائك برفضك القيام بواجبك كمسيحي ، وبرفضك خدمة القيصر والوطن ؟

بوريس ، مبتسماً : واجبي كمسيحي هو بالضبط ما أريد أن أفعله . ولذلك أَرفضُ أن أكون جندياً .

الكاهن : ولمَ ترفضُ ذلك . فقد جاءَ : « من يُعطي حياته للآخرين » ، هذا هو المسيحي الحقيقي .

بوريس : نعم ، يُعطي حياته ، ولا يأخذ حياة الآخرين . هذا بالضبط ما أريده ، أن أعطي حياتي .

الكاهن : أنت ، أيها الشاب ، لا تُحاكم محاكمةً سليمةً . قال يسوع للمحاربين . . .

بوريس : مبتسماً : هذا يدل فقط على أن الجنود ، حتى في ذلك الزمان ، كانوا ينهبون ، وقد منعَهم من ذلك .

الكاهن : لمَ إذن امتنعتَ عن أداء القسم ؟

بوريس : أنت تعلم أن ذلك ممنوعٌ في الإنجيل .

الكاهن : كلا . فعندما يقول بيلاطس : « أحلّفك بالله الحي ، أأنت يسوع ؟ » أجابَ الربُ يسوع : « أنت قلتَ ذلك » . وإذن فاليمين ليست ممنوعةً .

بوريس : ألا تخجل ، وأنت الشيخ !

الكاهن : لا تركَبْ رأسَك، أنصحكَ بذلك . لن نغيّر العالم . أَدِّ القسمَ وستكون مطمئناً . أما ما هو خطيئةٌ وما ليس خطيئةً فدع الكنيسة تبتّ في ذلك .

بوريس : تبت لك ! ألا تخاف من حمل هذه الخطايا على ظهرك ؟

الكاهن : أية خطايا ؟ بما أني تربّيتُ في الإيمان الراسخ . وبما أنني عشتُ ثلاثين سنةً في الكهنوت، فلا يمكن أن تكون لي خطايا .

بوريس : من الذي يرتكب الخطيئة ، عندما تخدعون كل هؤلاء الناس . ما الذي في دماغهم ؟

(يشير إلى الحارس) .

الكاهن : ليس لنا أن نَحْكم على هذا ، أيها الشاب ؛ ما يلزمنا هو طاعةُ رؤسائنا .

بوريس : دَعْني . أنا أرثي لك ، ولا أَستمعُ إليك إلا باشمئزاز . ليتك كنت كالجنرال الذي كان هنا قبل قليل ، لكنك تضع صليبا ، وتحمل بيدك انجيلاً ، وأنت تعظني باسم المسيح لكي أتخلّى عن المسيح . امضِ . امضِ (مضطرباً) . امضِ ودعْني . هيّا . خذوني حتى لا أرى أحداً . أنا متعبٌ . أنا مُتعب للغاية .

الكاهن : وداعاً ، إذنْ .

(يدخل المساعد العسكري ، يجلس بوريس في الصدر) .

المساعد العسكري : وماذا جرى ؟

الكاهن : عناد شديد . خروج على الطاعة .

المساعد العسكري : إذن . هو لا يريد أن يؤدي القسم ولا أن يقوم بالخدمة العسكرية ؟

الكاهن : إطلاقاً .

المساعد العسكري : يجب إذن نقله الى المستشفى العسكري .

الكاهن : آه ! نعم . يجب أن يُعْتبر مريضاً . هذا أكثر ملاءمةً . لأن هذه القدوة مُعْدِيةٌ أحياناً .

المساعد العسكري : سنضعه في قسم الأمراض العقلية ، لكي يُراقَبَ . وقد صدرَ الأمرُ بذلك .

الكاهن : بدون شك . تحيتي لك .

(يخرج) .

المساعد العسكري ، يدنو من بوريس : تعال ، من فضلك . فمعي أمر باقتيادك .

بوريس : إلى أين ؟

المساعد العسكري : إلى المستشفى العسكري ، لبعض الوقت ، حيث ترتاح وحيث يتسنّى لك الوقتُ للتفكير .

بوريس : فكّرتُ منذ زمن طويل . هيّا . لِنذهبْ .

(يخرجان) .

المشهد — ٣ —

« صالة مستشفى . طبيب عجوز وطبيب شاب . مرضى بمباذلهم ، خدم الصالة بقمصانهم » .

ضابط مريض : قلتُ لك : إنك تزيدني مرضاً . لقد شعرتُ عدة مرات بالتحسّن .

الطبيب : لا تضطربْ . أنا أقبل بالتوقيع على بطاقة خروجك .
لكنك تعلم جيداً أن الحرية خطرٌ عليك . ولو علمتُ أنك
ستجدُ من يَعْتني بك . . .

الضابط المريض : أتظنّ أنني سأعود إلى الشرب ؟ لا ، لقد تلقّنْتُ
درساً . لكنّ كلّ يوم أقضيه هنا يُسهم في هلاكي . أنتَ
تَفْعل عكس ما يجب عليك أن تفعله (محتدّاً) . أنت
قاس . أنت تحسّ بالراحة هنا .

الطبيب : اهدأْ !

(يشير إلى الممرضين الذين يقتربون من الخلف) .

الضابط المريض : النقاش حسنٌ ونحن أحرار ، أما بالنسبة إلينا ،
بين المجانين . . . (للممرضين) . لا تقتربوا ! ارجعوا !

الطبيب : أرجو أن تهدأ .

الضابط المريض : أنا ، أرجوك أن تَدَعني أخرج .

(يطلق صرخة وينقض عليه . يمسك به الممرضون ويقتادونه) .

الطبيب الثاني: ها إن ذلك يعود إليه . كاد يُصيبك .

الطبيب : مدمنٌ و . . . لا حيلةَ لنا . مع أن هناك تحسّناً طفيفاً .

المساعد العسكري ، داخلاً : طاب يومكما .

الطبيب : طاب يومُك .

المساعد العسكري : جئتكم بشخصٍ مثير للاهتمام . إنه أميرٌ يُدعى
تشيربشانوف ، عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية ، لكنه

رفض ذلك محتجاً بالإنجيل . أرسلتُه إلى الدرك ، فأعلن هؤلاء أن حالته لا تدخل في اختصاصهم وقالوا إنه لا ينطوي على أية صفة خطرة . ووعظه الكاهن ، لكن بدون جدوى .

رئيس الأطباء ، ضاحكاً : كالعادة دائماً ، تأْتون به إلينا كمرجع أخير . حسناً ! هاته .

(يخرج الطبيب الثاني) .

المساعد العسكري : يُقال إنه شاب متعلم جداً ، وخطيبته ثريّة . هذا مدهش . أجدحقاً أن مكانه هو عندكم .

الطبيب : نعم ، مسّ الجنون . . .

(يُدخَلُ بوريس)

الطبيب : أهلاً وسهلاً . اجلسْ ، أرجوك . سنتحدّث قليلا . دعْنا .

بوريس : أرجوكمْ ، أن تحبسوني إنْ أمْكنَ ، بأسرع وقت ، إن كانت نيتكم حبسي في مكان ما ، وأن تَدَعوني أستريح .

الطبيب : عفوك ، لكن من الضروري مراعاة الأنظمة . بعض الأسئلة فقط . بمَ تحسّ ؟ وأين تتألّم ؟

بوريس : لا أتألم ، وصحتي جيدة .

الطبيب : نعم ، لكنك لا تتصرّف كسائر الناس .

بوريس : أتصرّفُ كما يأمرُني ضميري .

الطبيب : أنت ترفض أن تؤدّي خدمتك العسكرية . ما الدافع ؟

بوريس : أنا مسيحي ولا يجوز لي أن أقتل .

الطبيب : لكن يجب الدفاع عن الوطن في وجه الأعداء ، ويجب أن نُصْلح الذين يخلّون بالنظام العام .

بوريس : لا أحد يُهاجم الوطن ، والمُخلّون بالنظام بين رجال الحكومة أكثر عدداً من المخلين بالنظام بين الذين يعذّبونهم .

الطبيب : ماذا تقصدُ بذلك ؟

بوريس : انظرْ مثلا إلى الخمر ، وهو مصدرٌ كبير من مصادر الشر ؛ الحكومةُ هي التي تبيعه ؛ والحكومة تنشر ديناً خاطئاً ، كاذباً ؛ ثم هناك الخدمة العسكرية المطلوبةُ مني وهي الوسيلة الأولى للفساد ، والحكومة هي التي تطلبها .

الطبيب : لا لزوم إذن ، بحسب رأيك ، لا للحكومة ولا للدولة ؟

بوريس : لا أدري ، لكني أعلمُ علمَ اليقين أنني بغنى عن المشاركة في الشر .

الطبيب : وماذا سيُصيب العالم حينئذ . لأننا أُعْطينا العقل لنتنبأ بالمستقبل .

بوريس : وأعْطينا العقلَ أيضاً لنرى أن النظام الاجتماعي يجب أن يقوم على الخير لا على العنف ، وأن رفض أي شخص المشاركةَ في الشر لا ينْطوي على أيّ خطر .

الطبيب : اسمحْ لي أن أفحصك قليلاً الآن . (يجسّه) . ألا تحسّ بأي وَجَعٍ هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : ولا هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : تنفّس ! لا تتنفّسْ ! أشكرك . اسمحْ لي الآن . (يقيس الأنف والجبهة) أغلق عينيك ، من فضلك . امش .

بوريس : ألا تخجل من ذلك ؟

الطبيب : ممّ ؟

بوريس : من كل هذا الرياء . لأنك تعلم أنني سليمُ الجسم ، وأنهم أرسلوني إلى هنا لأنني رفضتُ المشاركة في الشرّ الذي يقترفونه ، وأنهم لا يملكون ما يردّون به على الحقيقة ، ولذلك تراهم يتظاهرون بأن يعتبروني غير طبيعي ؛ وأنت تؤازرهم في هذه الحالة . هذا عملٌ حقيرٌ ومُخزٍ . دعْكَ من هذا !

الطبيب : ألا تريد أن تمشي ؟

بوريس : لا ، لا أريد أن أمشي . تستطيع أن تعذّبني كما تشاء ، لكنْ تصرّفْ بنفسك ، أما أنا فإني أساعدك . (بحرارة) . دعْني !

الطبيب ، يضغط على زر . يدخل ممرّضان : اهدأْ . أفهمُ أن تكون أعصابُك مهتاجةً . ألا تريد أن تذهب إلى غرفتك .

(يدخل الطبيب الثاني) .

الطبيب الثاني : جاءَ زوارٌ يطالبون مقابلة تشير يشانوف .

بوريس : مَنْ هم ؟

الطبيب : السيد سارنتزيف وابنتُه .

بوريس : أودّ لو أراهما .

رئيس الأطباء : حسناً ! استقبِلْهما . تستطيع أن تستقبلهما هنا .

(يدخل نيكولا ايفانوفتش ولوبا) .

الأميرة على الباب تقول : اذهبا ، سأذهب بعدكما .

لوبا ، تسير إليه رأساً وتقبّله على جبينه : يا بوريس المسكين !

بوريس : لا ، لا ترْثي لي . أنا مرتاحٌ جداً ، سعيدٌ جد . وقلبي مبتهجٌ . طاب يومُكَ .

(يقبّل نيكولا ايفا نوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : جئت لأقول لك شيئاً مهماً جداً . أولاً ، في كل شيء ، تجاوزُ الحدّ أسوأ من التقصير ؛ ثانياً ، في هذه الحالات يجب أن نتصرّف كما جاءَ في الإنجيل : ألا نفكّر مسبقاً :سأفعل هذا وسأقول هذا ، « فمتى أسلموكم إلى الحكّام فلا تهتمّوا بما تتكلّمون لأن الروح القدس يعلّمكم ماينبغي أن تقولوه » . أي انك لا يجب أن تتصرف بعد أن تقول في نفسك : يجب أن أتصرّف هكذا ، لكن عندما ينفذ إلى كيانِكَ الشعورُ بأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً آخر ...

بوريس : وهذا ما فعلتُه . لم أكن أفكّرُ برفض الخدمة العسكرية . لكنني عندما رأيتُ كلّ ذلك الكذب ، والمرآةَ الرامزةَ

إلى العدالة ، وتلك الأوراق ، وهذه الشرطة ، لم أستطعْ أن أمتنعَ عن قول ما قلتُه . كنتُ خائفاً فقط حتى اللحظة التي بدأتُ بها ، ثم بدا لي ذلك بسيطاً جداً ، وملأني بالفرح .

(تظل لوبا جالسةً وتبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : وعلى الخصوص ، لا تصنعْ شيئاً لتكسب المجدَ في عيون الناس ، لتنال استحسانَ الذين تُكْبِرُ رأيهم . أما أنا فأقول لكَ بصراحة ، إذا أديتَ القسمَ على الفور ، وإذا أتممْتَ خدمتك ، فلن يَنْقص حبّي وتقديري لك . بل ربما زادا عما كانا عليه من قبل ، لأن المهم ما يجري في القلب لا ما يجري أمام الناس .

بوريس : هذا مفهوم ، لأنه إن جرى شيءٌ في القلب فسوف يتغيرّ موقفنا بين الناس .

نيكولا ايفانوفتش : هذا ما عندي لأقوله لك . أمُّكَ هنا . وهي مغتّمةٌ جداً . إذا كان بوسعك أن تفعل ما تطلبه منك فافعلْه . هذا ما أردتُ أن أقوله لك .

(تُسمع صرخاتٌ رهيبة في الرواق . يقتحم القاعةَ مريضٌ فيتبعه الممرّضون ويقودونه بالقوة) .

لوبا : هذا فظيع . وستكون أنتَ هنا ؟

(تبكي) .

بوريس : هذا لا يخيفُني . لا شيءَ يخيفني في الوقت الحاضر . أنا

في حالة حسنة ! شيءٌ واحدٌ يُقلقني : وهو بأية طريقة ستُقابلين ذلك . ساعديني . أنا واثقٌ من أنك ستَسْنديني .

لوبا : أيجوز لي أن أفرح ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ليس ضروريا أن تَفْرحي . وأنا أيضاً ، لن أفرح ، أنا أتألّم من أجله . كم كنتُ سأفرحُ لو كنتُ مكانه ! لكني أتألم وأعلم أن هذا حسنٌ .

لوبا : طيّب . ومتى سيُخْلون سبيله ؟

بوريس : لايعلم ذلك أحدٌ . لستُ أفكرّ في المستقبل . الحاضرُ جميلٌ جداً ! وتستطيعين أن تجعليه أجمل .

الأميرة ، تدخل : لا أستطيع أن أنتظر أكثر من ذلك . (لنيكولا ايفانوفتش) هل أقْنعتَه أخيراً ؟ هل قبل ؟ بوريس ! يا عزيزي افهمْ كم تألمتُ . ثلاثون عاماً لم أعشْها إلا لكَ . أربّيك وأجد الرجاءَ فيك . فلما تمّتْ التربيةُ وتحقّق الرجاءُ ، تخلّيتَ عن كل شيء . السجن والعار ! لا ، يا حبيبي بوريس . . .

بوريس : ماما ، أصغي إلي .

الأميرة : لماذا لا تكلّمينه ؟ لقد فَقدْتِه ، أنتِ التي يجب أن تُقْنعيه . أأنت مرتاحةٌ ، أنتِ . لوبا ، هلاّ كلّمتِه .

لوبا : وماذا أستطيع أن أفعل ؟

بوريس : ماما ! حاولي أن تفهمي أن هناك أشياء مستحيلة . من المستحيل عليّ أن أطير في الهواء . وكذلك من المستحيل علي أن أؤدي الخدمة العسكرية .

الأميرة : ذلك لأنك تتصورّ أنك لا تستطيع ذلك . هذه مزحةٌ . كلُ الناس أدّوا الخدمة وكل الناس يؤدّونها . أنت ونيكولا ايفانوفتش ابتكرتما مسيحيّةً جديدةً . ليست هذه مسيحية ، وإنما هي تعاليم الشيطان التي ستجعلنا نتألم جميعاً .

بوريس : ومع ذلك فهذا ما يقول به الإنجيل .

الأميرة : لم يقلْ هكذا ، وحتّى لو جاءَ هذا في الإنجيل فهو حمقٌ . بوريس ، يا حبيبي ، ارحمْني . (ترتمي على عنقه وهي تبكي) . كل حياتي لم تكن سوى عذاب . لم أكد ألمح بارقةَ سعادة حتى جعلتَ لي منها عذاباً . بوريس . ارحمْني !

بوريس : ماما ، هذا مؤلمٌ لي للغاية . لكني لا أستطيع أن أقول لك شيئاً .

الأميرة : هيّا ، لا ترفضْ ، قلْ إنك ستبذل جهدك .

نيكولا ايفانوفتش : قلْ إنك ستفكّر ، وفكّرْ .

بوريس : طيّب ، طيّب . وأنت أيضاً ، ماما ، ارحميني . فهذا يؤلمني جداً أيضاً .

(تُسمع مرةً أخرى صرخات في الرواق) .

بوريس : أنا في مستشفى للمجانين ؛ وقد يفقد المرءُ حقاً عقله فيه ...

رئيس الأطباء : سيدتي ، قد يكون لهذا نتائج سيئة جداً . ابنك هائج

الأعصاب جداً . أظن أن من الضروري إنهاء المقابلة .
يوم الزيارة هو يوم الخميس ، والزيارة حتى الظهر .

الأميرة : طيب ، طيب . سأذهب . إلى اللقاء ، بوريس ! فكّرْ ، ارحمني ، واستعدّ لزيارتي نهار الخميس لتبشّرني بنبأ سعيد .

نيكولا ايفانوفتش ، يمدّ إليه يده : أعانك الله في تفكيرك ؛ فكّرْ وكأنك ستموت غداً . هكذا فقط يكون قرارُك صحيحاً . إلى اللقاء .

بوريس ، يدنو من لوبا : أنتِ لا تقولين شيئاً لي ؟

لوبا : لا أستطيع أن أكذب . لا أفهم ما جدوى أن تتعذّب وتعذّب الآخرين . لا أفهم ولا أستطيع أن أقول شيئاً .

(تبكي ويخرجون) .

بوريس ، وحده : آه ! ما أقسى هذا ، ما أقسى هذا ! أعنّي ، ياربي !

(يصلي ، يحمل الممرّضون لباس المستشفى) .

الممرّض : يجب أن تغيّر ملابسك .

بوريس ، وقد بدأ يخلع ملابسه : نعم . . . لا ، لا أريد .

(يُلبسونه ملابسه بالقوة) .

ستار

الفصل الرابع

المشهد — ١ —

« في موسكو . بعد سنة من الفصل الثالث . صالة في منزل آل سارنتزيف الذي استعد لأمسية راقصة . يضع الخادم نباتات قرب البيانو .

شجرة عيد الميلاد . تدخل ماري ايفانوفنا مرتدية فستاناً من الحرير الأنيق تتبعها آلين ايفانوفنا .

ماري ايفانوفنا: حفلة راقصة ؟ ليست هذه حفلة راقصة ، هذه أمسية صغيرة ، حفلة راقصة صغيرة ، كما كان يقال في الماضي **حفلة راقصة صغيرة للفتيان** . لأني لا أستطيع أن أرسل دائماً أولادي يرقصون ويشاهدون التمثيليات المنزليةفي منزل آل ماكوفسكي ، ويرقصون في كل مكان . يجب أن نرد المثل بالمثل .

آلين ايفانوفنا : أخاف كثيراً أن يستنتج نيكولا ذلك .

ماري ايفانوفنا: ما العمل ؟ (للخادم) . ضعها هنا . الله أعلم كم أنا زاهدة في تسبيب المتاعب له . لكني أرى أنه أصبح أقل تشدداً الآن .

آلين ايفانوفنا : اوه ! لا ، لكنه لا يظهر ذلك . لقد ذهب إلى المنزل بعد العشاء ، وقلب كل شيء .

ماري ايفانوفنا: وما حيلتُنا في ذلك ؟ ما حيلتُنا في ذلك ؟ لا بد للجميع من أن يحيوا . هم ثمانية . فاذا لم نوفّرْ لهم شيئاً من التسلية ، أقدموا على مالا يعلمه إلا الله . أنا الآن ، على الأمل ، سعيدة من أجل لوبا .

آلين ايفانوفنا : وهل تقدّم بالطلب ؟

ماري ايفانوفنا: تصرّفَ وكأنه طلبها . فاتحها ، فقالت : نعم .

آلين ايفانوفنا : ستكون صدمةً رهيبة له أيضاً .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك . لا يمكن إلا أن يعلم ذلك .

آلين ايفانوفنا : وهو لا يحبّه .

ماري ايفانوفنا ، للخدم : ضعوا الفواكه على الصوان . مَنْ ؟ الكسندر ميخايلوفتش ؟ طبعاً لا يحبّه ، لأنه نفْيُ نظرياته كلها : اجتماعي ، ساحر ، ظريف وطيب . آه ! هذا الكابوس المرعب — بوريس تشيريشانوف — ماذا أصابه ؟

آلين إيفانوفنا : ذهبت ليز لتراه . وهو لا يزال في الموضع ذاته . يُقال إنه غدا هزيلاً ، وأن الأطباء يخافون على حياته أو على عقله .

ماري ايفانوفنا: نعم ، إنه ضحيةٌ رهيبة لأفكاره . لقد هلك بسبب ذلك . لم أكن أود أبداً . . . (يدخل عازف البيانو للعازف). جئتَ من أجل الرقصات .

العازف : نعم ، يا سيدتي ، أنا العازف .

ماري ايفانوفنا: اجلسْ ، أرجوك . انتظرْ كي تتناول الشاي ؟

العازف : لا ، يا سيدتي ، أشكرك .

(يسير نحو البيانو) .

ماري ايفانوفنا: لم أرغب في ذلك قط . . . أحبّ بوريس ، لكنه لم يكن الزوج الذي يصلح للوبا ، ولا سيّما بعد أن يكون قد تولّع بأفكار نيكولا ايفانوفتش .

آلين ايفانوفنا : مدهشةٌ قوةُ القناعة ، كم هي عظيمة . لأنه يتألّم ، هم يقولون له إن لم يَمْتثل للأمر فاما أن يظلّ هناك وإما أن يوُضعَ في المعتقل ، وهو يجيبُ دائماً الجواب نفسه . . . قالت لي ليزا إنه كان سعيداً بل ومرحاً .

ماري ايفانوفنا: هؤلاء متعصّبون . آه ! ها هو الكسندر ميخايلوفتش !

(الكسندر ميخايلوفش ستاركوفسكي المتألّق ، يقدّم نفسه باللباس الرسمي) .

ستاركوفسكي : جئتُ قبل الوقت بكثير .

(يلثم يد كل من السيدتين) .

ماري ايفانوفنا: هذا أحسن !

ستاركوفسكي : أين ليوبوف نيكولايفنا ؟ كان بنيتها أن ترقص كثيراً لتعوّض الزمن الضائع . تعهّدتُ بمساعدتها .

ماري ايفانوفنا: هي مشغولةٌ بتتمّمات التنّورة .

ستاركوفسكي : سأذهب لمساعدتها . أتسمحين ؟

ماري ايفانوفنا: موافقة .

(ستاركوفسكي يتّجه إلى المخرج . لوبا تظهر في مواجهته . وهي تحمل مخدةً ونجوماً وأشرطة) .

لوبا ، في ثياب السهرة غير المكشوفة : آه ! هذا أنت ! حسنٌ جداً . ساعدْني . هناك في الصالون ، مخدّتان،احملْهما إلي . طاب يومك ، طاب يومك !

ستاركوفسكي : سأطير إليهما .

(يخرج) .

ماري ايفانوفنا، للوبا : اصغي إليّ ، لوبا ، سيأتي أصدقاؤنا ، في هذا المساء ، وسيلمحّ بعضُهم وسيسألون . يُمكننا أن نُعْلِنَ . . .

لوبا : كلاّ ، ماما ، كلاّ . ولمَ ذاك . ليسْأَلوا . هذا يشقّ على بابا .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك أو يَحْزِره ، وسنقوله له عاجلا أم آجلاً . وأظنّ من الأفضل إعلان ذلك اليوم . **لأن هذا هو سر التمثيلية .**

لوبا : لا ، لا ، ماما . أرجوك . سيُفسد ذلك أمسيتي . يجب ألاّ تقولي شيئاً .

ماري ايفانوفنا: كما تشائين .

لوبا : إذن انظري ، في آخر الأمسية ، قبل العشاء . . . هلاّ حملها .

ماري ايفانوفنا: يجب أن أذهب لألقي نظرة خاطفة على ناتالي .

(تخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ستاركوفسكي ، يحمل ثلاث مخدّات يثبّتها بذقنه ويدعمها تسقط على الطريق : ليوبوف نيكولايفنا ، لا تلمسيها ، سألمّها . هل صنعتِ الكثيرَ منها . يجب أن تَعْرفي كيف يُنظّم ذلك كله . فانيا ، تعال .

فانيا ، يحمل مخدّات أخرى : هذه هي كلها . لوبا تراهنّا ، الكسندر ميخايلوفتش وأنا ، على أيّنا سيفوز بأوسمةٍ أكثر .

ستاركوفسكي : سيكون الأمرُ سهلاً عليك ، فأنت تعرف الجميعَ ، وقد فُزْتَ عليهم مسبقاً من قبل ، أما أنا فيجب أن أعجب السيدات أولاً وأن أتلقّى المكافآت بعد ذلك . وأنا أُعطيك أربعين نقطة زيادة عليّ منذ الآن .

لوبا : فانيا ، اذهب إلى غرفتي ، من فضلكَ ، واحملْ إليّ الصمغ والكبة اللذين على الرفّ . (يخرج فانيا .) بحياة الله ، لا تكسرْ ساعتي .

فانيا : سأكسرُ كلَّ شيء .

(يخرج راكضاً) .

ستاركوفسكي ، ممسكاً لوباً بيدها : لوبا ، أتَسْمحين ؟ أنا سعيد جداً . (يلثم يدها) . المازوركا لي ، لكنّ هذا لا يكفيني . ليس لدينا وقتٌ للكلام أثناءَ المازوركا . وأنا بحاجة إلى أن أكلّمك . أتأذنين لي بارسال برقية لعائلتي أعلن فيها أنني مقبولٌ ، وأنني سعيدٌ ؟

لوبا : أجل ، هذا المساء بالذات .

ستاركوفسكي : كلمة واحدة أيضاً : كيف سينظر نيكولا ايفانوفتش إلى هذا الشيء ؟ هل كلّمتِه ؟ هل قلتِ له ؟ نعم ؟

لوبا : لم أحدّثه في ذلك . لكني سأحدّثه . سيقبل بذلك كما يقبل الآن بكل شيء يخصّ العائلة . سيقول : افعلي كما تشائين ؟ لكنه سيغتمّ في أعماقه .

ستاركوفسكي : لأنني لستُ تشيريمشانوف ؟ لأنني نبيل من نبلاء المجلس ، مارشال النبلاء ؟

لوبا : نعم . وقد صارعتُ نفسي ، وكذبتُ على نفسي بسببه . لا لأن حبي له أقل ، لأنني لا أفعل ما يريد ، بل لأني لا أعرف الكذب . إنه يقول ذلك بنفسه . أنا شديدة الشوق إلى الحياة .

ستاركوفسكي : وهذه هي الحقيقة الوحيدة ، الحياة ! حسناً ! والآخر ، تشيريمشانوف ؟

لوبا ، مضطربة : لا تُكلّمْني عنه . أود لو أستطيع اتهامه ، اتهامه في حين أنه يتألم وذلك لأنني مذنبة بحقّه . لم أعد أعرفُ إلا هذا الشيء ، أن الحب موجود ، الحب الحقيقي ، على ما أعتقد ، الحب الذي لم أضمرْهُ قطّ له .

ستاركوفسكي : أصحيح هذا ، لوبا ؟

لوبا : أتريد أن أقول : إنك أنتَ الذي أُحبه بهذا الحب الحقيقي ، لكني لن أقول ذلك . أُحبكَ ، نعم ، أحبك . . .

ستاركوفسكي : أنتِ ؟

لوبا : أحبكَ ، أنتَ ، حباً مختلفاً ، لكنْ ليس هذا ما أريده .
لا حبي الآن ولا حبّي آنذاك هو ما أريده .

ستاركوفسكي : لا ، أنا مسرورٌ من حبي . (يلثم يدها) . لوبا !

لوبا ، تدْفعه عنها : لا ، لنهتم بالمتمّمات . على كل حال ، وصل الزوّار .

(تدخل الكونتيسة ومعها تانيا وبنت صغيرةٌ) .

لوبا : ماما ستأتي في الحال .

الكونتيسة : نحن أول القادمين .

ستاركوفسكي : لا بد أن يكون للقادمين أول . وقد اقترحت أن تُصنع سيدةٌ من الكاوتشوك تكون أول القادمين .

(يدخل ستيوبا وفانيا الذي حمل لأخته الصمغَ والكبّة) .

ستيوبا : كنت آمل أن ألقاك أمس في فندق الإيطاليين .

تانيا : ذهبنا إلى منزل خالتي . كانت تخيط للفقراء .

(يدخل طلابٌ ، وسيدات ، وماري ايفانوفنا) .

الكونتيسة : ألن نرى نيكولا ايفانوفتش ؟

ماري ايفانوفنا: لا ، إنه لا يظهر أبداً .

ستيوبا : وكيف انتهت قضية الشاب تشيرنيشانوف ؟

ماري ايفانوفنا: مايزال المسكين في مستشفى المجانين ؟

الكونتيسة : انظروا إلى هذا العناد الشديد !

مدفي : يا للضلال الغريب ! من تراه يُفيدُ ؟

طالب : من فضلك ، رقصة مربّعة !

(يصفّق بيده ، يصطفون ويرقصون) .

آلين ايفانوفنا ، تقترب من ماري ايفانوفنا : هو في اضطراب بالغ . كان عند بوريس ، ولما عاد رأى الحفلة الراقصة ، فنوى أن يذهب . دنوتُ من الباب وسمعتُ حديثه مع الكسندر بيترو فتش .

ماري ايفانوفنا: وماذا سمعتِ ؟

راقص : **حلقة السيدات ! المراقصون في المقدّمة .**

آلين ايفانوفنا : قرّرَ أنّ من المستحيل العيش هكذا ، وهو ينوي الرحيل .

ماري ايفانوفنا: كم يحبّ هذا الرجلُ أن يعذّبكم .

(تخرج) .

المشهد — ٢ —

« غرفة نيكولا ايفانوفتش . تُسمَعُ الموسيقا من بعيد . هو بالسترة ، يضع رسالةً على الطاولة . الكسندر بيترو فتش ، في ثياب رثة ، معه »

الكسندر بيتروفتش : اطمئن ، نستطيع أن نذهب إلى القوقاز بدون أي فلس . هناك ستتدبّر أمرك .

نيكولا ايفانوفتش : سنركب القطار حتّى تولا ، ومن هناك سنذهب مشياً على الأقدام . هيّا . كل شيء جاهز .

(يضع الرسالة على الطاولة ويخرج . يصادف ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : لم جئت ؟

ماري ايفانوفنا: لأرى ما تفعله .

نيكولا ايفانوفتش : عذابي فظيع .

ماري ايفانوفنا: كيف ؟ لماذا ؟ جئت، لأمنعك من ارتكاب عمل وحشي . لم تفعل هذا ؟ لم ؟

نيكولا ايفانوفتش : لم ؟ لأني لا أستطيع أن أستمر في العيش على هذا النحو . لا أستطيع أن أحتمل هذه الحياة البشعة الفاسدة .

ماري ايفانوفنا: هذا فظيع ! حياتي التي كرستها كلياً لك ولأولادك ، حياتي أصبحت حياة فاسدة . (تشاهد الكسندر بيتروفتش).
اصرفْ هذا الرجل على الأقل ، لا أحب أن يكون شاهداً على هذا الحديث .

الكسندر بيتروفتش : فهمتُ . سأذهب .

نيكولا ايفانوفتش : انتظرني هناك ، الكسندر بيتروفتش . سآتي على الفور .

(يخرج الكسندر بيزوفتش) .

ماري ايفانوفنا: ما الشيء المشترك الذي يمكن أن يكون بينك وبين مثل هذا الرجل ؟ ولا يمكن أن نفهم لماذا كان أغلى عليك من امرأتك . وإلى أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : تركتُ لكِ رسالةً . لم أكن أريدُ أن أكلّمكِ . فذلك شاقٌ جداً عليّ . لكنكِ إن رغبتِ فسأبذل جهدي لأقول لكِ رأيي بهدوء .

ماري ايفانوفنا: لا ، لا أستطيع أن أفهم ماستقول . لمَ تَكْرَه وتعاقبُ المرأةَ التي ضحّتْ بكل شيء من أجلك ؟ قلْ لي لمَ ؟ ألأني تردّدتُ على الحفلات الراقصة ، وكنتُ أحبّ الزينةَ ، وكنتُ مغْناجاً . حياتي كلها كانت مكرّسةً للأسرة . وقد أرضعْتُهم بنفسي ، وربّيتُهم . وفي السنة الأخيرة كلها ، وقع عليّ كل عبء تربيتهم وعبء أعمالنا .

نيكولا ايفانوفتش، يقاطعها: هذا العبء وقعَ عليكِ لأنكِ لم تَرْضَيْ أن تعيشي كما اقترحتُ عليكِ .

ماري ايفانوفنا: لكنّ ذلك كان مستحيلا . اسأل مَنْ شئْتَ . من المستحيل أن نترك الأولاد أميين ، كما كنتَ تريد ، وأن أقوم أنا بالغسل والطبخ .

نيكولا ايفانوفتش : لم أُردْ ذلك قط .

ماري ايفانوفنا: لا يهمّ ، كان شيئاً من هذا النوع . لا ، أنتَ ، مسيحي ، تريد أن تفعل الخيرَ ، وتقول : إنك تحبّ الناسَ . فلماذا تعاقبُ المرأةَ التي كرّستْ لك حياتَها ؟ .

نيكولا ايفانوفتش : كيف أعاقبكِ ؟ إني أحبّكِ كثيراً ، لكن ...

ماري ايفانوفنا: كيف لا تعاقبني وأنت تهجرني ؟ وأنتَ ترحل ؟

وماذا سيقول الناسُ ؟ إحدى اثنتين : إمّا أنني امرأة سيئةٌ ، وإمّا أنك أنت مجنون ....

نيكولا ايفانوفتش : لنفرضْ أنني مجنون ، لكن ليس بوسعي أن أحيا هذه الحياة .

ماري ايفانوفنا: ما الفظيع في دعوتي لأمسية مرةً في الشتاء كله ؛ وكنتُ أخشى بالضبط ألا يزعجك هذا . ثم اسأل مانيا وفارفار فاسيلييفنا كيف أن الجميع قالوا لي : إنه لا يمكن الاستغناء عن تلك الأمسية ، وأنها ضرورية . أهي جريمة إذن ، جريمة من أجلها أُسَرْبَلُ بالعار ! ولا أُسَرْبَلُ بالعار فقط ! الأهمُّ هو أنك لم تعد تحبّني ، وأنك تحبّ الإنسانية على العموم ، وهذا السكيّر الكسندر بيتروفتش ، وأنا ما أزال أحبك ، ولا يمكنني أن أعيش بدونك . لماذا ؟ لماذا ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : لكنك لا تريدين أن تفهمي حياتي ، حياتي الروحية .

ماري ايفانوفنا: أود أن أفهم لكنني لا أفهم . أرى أن مسيحيتك حماتْكَ على كره أسرتك وكرهي . أما من أجل أيّ هدف ، فذلك مالا أفهمه .

نيكولا ايفانوفتش : الآخرون يفهمون ذلك جيداً .

ماري ايفانوفنا: مَنْ ؟ الكسندر بيتروفتش الذي يبتزّ مالك .

نيكولا ايفانوفتش : هو وآخرون أيضاً،وتانيا ووفاسيلي نيكانوروفتش(١) لكنْ ما أهميّةُ ذلك . لو لم يفهم ذلك أحدٌ ، لما تغيّر شيءٌ .

ماري ايفانوفنا: فاسيلي نيكانوروفتش عاد إلى الطاعة ، واستأنف خدمته الكنسية ، أما تانيا فهي ترقص الآن وتغازل ستيوبا .

نيكولا ايفانوفتش : هذا مؤسف ! لكن هذا لا يمكن أن يجعل الأبيض أسود ؛ لا يمكنه أن يغيّر حياتي . ماري ! لم يبق فيّ فائدةٌ لكِ . دعيني أرحل . حاولتُ أن أشارك في حياتكِ ، أن أُدْخِلَ فيها قوامَ الحياة كلها عندي . لكن ذلك كان مستحيلاً . وينتج عن ذلك أنني أعذّبكِ وأتعذّب . وأنا لا أتعذّب فقط لكني أهْدم عملي . لكل واحدٍ ، حتى الكسندر بيتروفتش نفسه ، الحقُّ في أن يقول ، وهو يقول ، إنني لستُ سوى كذّاب ، وأنني أقول ولا أفعل ؛ وإنني أنادي بالفقر الإنجيلي ، لكني أعيشُ أنا نفسي في الترف بحجة أنني سلّمتُ كل شيء لامرأتي .

ماري ايفانوفنا: وهذا يضايقك بسبب الناس . ألا تستطيع أن ترتفع فوق ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا لا يضايقني ، لكنني أشعر بالخجل إذْ أهْدمُ العمل الإلهي .

ماري ايفانوفنا: أنتَ نفسك تقول : إن هذا العمل يتمّ بالرغم من

---

(١) فاسيلي نيكانوروفتش : هو الكاهن الشاب في الفصل الأول .

مقاومتنا . لكنْ ليس هذا هو الموضوع . قلْ لي ما الذي يجب أن أفعله ؟

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لكِ ذلك من قبل .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم ، يا نيكولا ، أن ذلك مستحيل . فكّرْ إذن . ها هي لوبا مقبلةٌ على الزواج . وفانيا أصبح طالباً . وميشاوكاتيا يدرسان . كيف أحطّم ذلك كله .

نيكولا ايفانوفتش : وأنا ماذا ينبغي أن أفعل ؟

ماري ايفانوفنا: افعلْ ما تُنادي به : أن تتحمّل وتحب . ما الصعبُ في هذا ؟ ما عليكَ إلا أن تتحمّلنا ولا تحرمنا من وجودك . مهلاً ، ما الذي يعذّبك ؟

فانيا ، يدخل راكضاً : ماما ، الجميعُ يطابونك .

ماري ايفانوفنا: قلْ لهمْ إني لا أستطيع المجيء . امضِ ، امضِ !

فانيا : لكنْ تعالي !

نيكولا ايفانوفتش : لا تستطيعين أن تَرَيْ ، ولا تريدين أن تفهميني .

ماري ايفانوفنا: ليست المسألة أنني لا أريد ، بل إنني لا أقدر .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تريدين أن تَفْهمي ، ونحن نتباعدُ أكثر فأكثر . حاولي أن تركّزي فكرك فيّ للحظة من الزمن ، أن تنتقلي بالفكر وستفهمين . وقبل كل شيء ، إن الحياة التي نحياها هنا حياةٌ فاسدة . أنتِ تغضبين عندما ألفظ هذه الكلمة ، ولكني لا أستطيع أن أدعو باسم آخر هذه الحياة التي تقومُ كلّها على النهب ، لأن المال الذي

تعيشين به هو ثمنُ الأرض التي تنتزعينها من الشعب .
ثم إني أرى أن هذه الحياة تُفسد الأولاد : « ويلٌ لمن يُغْوي أحد هؤلاء الصغار » ، وأنا أراهم ، بعيني ، يَضيعون ويَفْسدون . لا أستطيع أن أرى سوى رجال يرْتدون ثيابهم الرسمية ليَخْدموننا كالعبيد . كل عشاء فهو مصدرٌ لآلامي .

ماري ايفانوفنا: لكن ذلك كلّه موجودٌ دائماً . هذه هي الحالُ عند الناس جميعاً ، وفي الخارج ، وفي كل مكان .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، منذ أن أدركتُ أننا جميعاً إخوةٌ ، لا أستطيع أن أرى ذلك دون أن أتألّم .

ماري ايفانوفنا: على خاطرك . يمكننا أن نخترع ماشئنا من الأشياء .

نيكولا ايفانوفتش ، بحرارة: هذا بالذات ، هذا النقصُ في الفهم هو المرُعب ! في هذا اليوم ، مثلاً ، قضيتُ الصبيحةَ في دار رجانوف(١) بين البائسين . رأيتُ في تلك الدار ولداً يموت من الجوع حقيقةً ؛ رأيت ولداً صغيراً أصبح مدمناً ؛ رأيتُ غسالةً مسلولةً تغسل البياضَ في النهر ؛ وأعود إلى منزلي فيفتح لي البابَ خادمٌ بربطته البيضاء ؛ ويأمرُ ابني ، وهو فتى ، هذا الخادمَ بأن يحمل إليه كأس ماء ، وأرى هذا الجيش من الخدم الذين يخدموننا . وأذهب بعد ذلك

---

(١) دار رجانوف : دار كبيرة في حي فقير في موسكو يسكنه جمهور الكادحين ، وقد زاره تولستوي في سنة ١٨٨٢ أثناء إحصاء السكان ووصفه وصفاً أخاذاً في مقالته : ماذا ينبغي لنا أن نفعل .

إلى بوريس الذي يبذل حياته في سبيل الدفاع عن الحقيقة ، فأرى ، أنهم يسوقونه عن علم إلى الجنون والموت ، لكي يتخلّصوا منه ، وهو الشديد النقاء والقوة والثبات . أعلمُ علمَ اليقين أنهم يعاملون بمرض قلبه فيهيجونه ويجرونه إلى قسم المجانين الثائرين . آه ! لا ، هذا هو الفظيع ، الفظيع ! وعندما أعود إلى البيت هنا ، أعلم أن إحدى بناتنا التي كانت تفهم الحقيقة ، ولا تفهمني أنا فقط ، قد تنكّرت لخطيبها الذي عاهدته على الحب وتنكّرت للحقيقة في آن واحد ، وأنها تنوي أن تتزوج حقيراً ، كذّاباً . . .

ماري ايفانوفنا: أهذا تصرّفك المسيحي !

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هذا شرٌّ ، وأنا مذنبٌ ؛ لكني أريد فقط أن تضعي نفسك مكاني . قلتُ فقط : إنها تخلّتْ عن الحقيقة . . .

ماري ايفانوفنا: أنتَ ، تقول : عن الحقيقة . الآخرون ، الأكثرية ، يقولون : عن الخطأ . هذا الكاهن فاسيلي نيكاروفتش الذي كان يظن نفسه مخطئاً ، ها هو يعود مع ذلك إلى أحضان الكنيسة .

نيكولا ايفانوفتش : أممكنٌ هذا ؟

ماري ايفانوفنا: كتبَ لليز . تستطيع أن تُريكَ الرسالة . كل ذلك هش . نستطيع أن نقول الشيءَ نفسه عن تانيا . ولم أذكر الكسندر بيتروفتش لأن هذا لم يفعل ما فعله إلا من أجل المنفعة المادية .

نيكولا ايفانوفتش ، مغتاظاً : ليكنْ . لكني أرجوك أن تفهمي . إنني اعتبرُ الحقيقةَ حقيقةً ، مع ذلك . يؤلمني جداً أن أذهب . لقد عدتُ إلى البيت ، فرأيتُ شجرةَ عيد الميلاد ، وحفلة راقصة ، ومئات الروبلات مُنْفَقَةَ ، في حين يموت الناسُ من الجوع . لا أستطيع أن أحيا هكذا . ارحميني ! لم أعدْ أقدرُ على الألم . دعيني أرحلْ . وداعاً .

ماري ايفانوفنا: إن ذهبتَ ذهبتُ معك . وإذا لم أستطعْ أن أذهبَ معك رميتُ بنفسي تحت القطار الذي يُقلّك . ولْيهلكْ الأولادُ ، وميشا ، وكاتيا . إلهي ! إلهي ! ما هذا العذاب ! ماذا فعلتُ ؟ ماذا فعلتُ ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش ، عَبْرَ الباب : الكسندر بيتّروفتش ، عُدْ إلى بيتك . لن أذهب . سأبقى ، كفى !

(يخلع سترته) .

ماري ايفانوفنا ، تقبّله: لم يَبْقَ في العمر مهلةٌ . يجب ألا نفسد حياتنا بعد ستة وعشرين عاماً من الحياة المشتركة . لن أُقيمَ بعد الآن سهرات . لكنْ لا تُعاقبْني .

فانيا وكاتيا ، يصلان وهما يركضان : ماما ، استعجلي وتعالي .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية ، أنا آتية . لقد غفر إذن كلانا للآخر .

(تخرج) .

نيكولا ايفانوفتش : هي طفلة ، طفلةٌ حتماً ، أو هي امرأةٌ ماكرةٌ . نعم ، طفلةٌ ماكرة . آه ! أرى أنك لا تريدُ أن أكون عاملاً في عمالك . تريد أن اتّضعَ لكي يستطيع الجميع أن يشيروا إليّ بأصابعهم : إنه يقول مالا يفعل . ليكنْ . هو أدْرى بما يلزمُه . الضعة والاتضاع . نعم ، لكن لا بد من أن أتمكنّ من الارتفاع إليه . . .

ليز ، تدخل : عفواً ، إني أحمل إليكَ رسالةً من الكاهن فاسيلي نيكانوروفتش . كتبَ إليّ ورجاني أن أوصل هذه الرسالة إليك .

نيكولا ايفانوفتش : أمن الممكن أن يكون ذلك صحيحاً ؟

ليز : نعم ، اقرأْ .

نيكولا ايفانوفتش : اقرئي انتِ ، أرجوكِ .

ليز ، تقرأ : « أكتبُ إليكِ راجياً أن توصلي ذلك إلى نيكولا ايفانوفتش . إني نادم على الخطأ الذي دفعني إلى ترك الكنيسة الارثوذكسية وأنا أفرح بالعودة إليها . أتمنّى لكِ ولنيكولا ايفانوفتش الشيء نفسه . أرجوكما أن تغفرا لي » .

نيكولا ايفانوفتش : شدّ ما عذّبوا هذا الفتى المسكين . لكن هذا فظيعٌ مع ذلك .

ليز : جئتُ أيضاً لأقول لك : إن الأميرة وصلت الساعةَ . هي فوق ، في غرفتي ، وهي في أشد حالات الهياج ، وهي تأبى إلاّ أن تراك . لقد رأت ابنها قبل حين . وأظن من

الأفضل ألا تَسْتقبلها . ما الشيء الحسن الذي يمكن أن ينتج من لقائكما ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ادعيها ؛ ربما كان هذا اليوم يوم امتحان رهيب .

ليز ، خارجة : سأستدعيها .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، يجب أن ينصبَّ تفكيرنا على أن الحياة ليست سوى خدمتك . يجب أن أعتقد أنك لا ترسل إليّ هذا الامتحان ! لا لأنك تظنّني قادراً على احتماله ، وأنك تُرسله على قَدْر قواي . وإلاّ لما كان امتحاناً . يا أبي ! أعنّي على تنفيذ مشيئتك لا مشيئتي .

الأميرة ، داخلةً : لقد قبلتَ باستقبالي . وأنتَ تشرّفني حين تستقبلني . تحيّتي لك . ولا أمدّ يدي إليك لأنني أكرهكَ واحتقرك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الذي حدث ؟

الأميرة : حدث مايلي وهو أنه أُرسِلَ إلى الفوج التأديبي . وأنت الذي فعل هذا !

نيكولا ايفانوفتش : يا أميرة ، إن كنتِ بحاجة إلى شيء فقولي لي ؛ لكنك إن كنتِ قد جئتِ لتُهينيني فقط ، فأنت تُتعبين نفسك لا غير . أما أنا فليس من إهانة تجرحني ، لأنني معك بقلبي ، وأنا أرثي لكِ .

الأميرة : يا لهذه الرحمة ! وذلك السموّ المسيحي ! لا ، يا سيد سارنتزيف ، لن تخدعني . عرفتُكَ الآن . أضعتَ

ابني ، ولستَ تُبالي بذلك ؛ فأنتَ تُقيم الحفلات الراقصة ، وخطيبة ابني ، ابنتك ، تتزوّج ، تعقد زواجاً بهجاً يُعجباكَ . وتتظاهر بأنك تحيا حياة البساطة ، وتمارس النجارةَ ! كم تبدو لي مُقْرِفاً بنفاقاك !

نيكولا ايفانوفتش : اهدئي ، يا أميرة ، قولي ما عندك . لانك لم تأتي فقط لتُهينيني .

الأميرة : ولهذا أيضاً . فأنا بحاجة إلى صبّ جام غضبي بعد أن تألمتُ كثيراً . لكنْ هذا ما يازمني : إنه يُنْقل إلى فوج تأديبي ولستُ أحتمل ذلك . أنت فعلتَ ذلك ، أنتَ ، أنتَ ، أنتَ !

نيكولا ايفانوفتش : الله فعل ذلك ، لا أنا . الله يرى كم أرثي لكِ . لا تُقاومي مشيئةَ الله . هو يريد أن يمتحنكِ . تحمّلي ذلك بالتسليم .

الأميرة : لا أستطيع أن أتحمّل ذلك بالتسليم . كانت حياتي كلها مركّزةً في ابني ، ولقد اختطفْتَه مني وأضعْتَهَ . ليس بوسعي أن أظل هادئة . وقد جئتُ إليك ، وهي آخر محاولةٍ لي ، لأقول لك إنْ أضعتْه فعليك أيضاً أن تُنْقذه . اذهب وابذل وسعك لكي يطلقوا سراحه . اذهبْ وقابل الساطات . اذهبْ إلى القيصر ، اذهب إلى مَنْ شئتَ . فاذا لم تفعَلْ علمتُ ماذا سأفعلُ ، أنا . تعهّدْ لي بذلك .

نيكولا ايفانوفتش : علّميني ما الذي يجب أن أفعله . أنا مستعدٌ لكل شيء .

الأميرة : أكرّر ما قلتُه مرةً أخرى . يجب أن تنقذه . وإذا لم تَنْقذه فتذكّرْ ذلك . ودائماً .

(يتمدّد نيكولا ايفانوفتش على الأريكة . ينفتح البابُ يسمع صوتُ الموسيقا على نحوٍ أعظم) .

ستيوبا : بابا ليس هنا ، تعالوا !

(يدخل الأزواجُ صغاراً وكباراً) .

لوبا ، تشاهد أباها : آه ! أنتَ هنا ، سامحْنا .

نيكولا ايفانوفتش ، ناهضاً : لا أهمية لذلك . (يمرّ الأزواج ويظلّ وحده) . رَجعَ فاسيلي نيكانوروفتش . فقدتُ بوريس . لوبا تتزوج . أأنا في الخطأ ؟ في الخطأ لأنني أومنُ بكَ . لا . يا أبي . أعنّي .

ستار

الفصل الخامس(١)

المشهد — ١ —

« فوج تأديبي . المهجع . السجناء قعود أو نيام . بوريس يقرأ الإنجيل ويفسّره . يُساق سجينٌ مُعاقَب » .

الضابط للمعاقب : آه ! لم يبقَ لك إذن من بوغاتشيف !

(تدخل الأميرة . تُطرَدُ . مشادّة مع ضابط . يُساق بوريس إلى الزنزانة ، ليُجْلَد) .

المشهد — ٢ —

« مكتب الماياك . سيجارات ، مزح ، ملاطفات . يُعْلَن عن الأميرة . يُطْلَبُ أن تنتظر . يدخل أصحابُ الطابات . يتحلّقون . تدخل الأميرة . رفضٌ . يخرجون » .

المشهد — ٣ —

ماري ايفانوفنا ، تكلّم الطبيب عن مرض زوجها : لقد تغيّر ، هو وديع ، لكنه واهن العزم .

---

(١) الفصل الخامس : لم تكد ترسم خطوطه الأولى ؛ وهو مجموعة من الملاحظات، هو مخطط الفصل .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : عدم جدوى العلاج . الروحُ أثمن . لكني أقبلُ من أجل زوجتي .

(تدخل تانيا وستيوبا ، لوبا وستاركوفسكي . يجري الحديث عن الأرض . يحاول ألا يجرح أحداً . يخرج الجميع . يبقى وحده مع ليز) .

نيكولا ايفانوفتش : إني متردّدٌ أبداً . أأحسنتُ صنعا . ألا يجب أن أفعل شيئاً . فقدتُ بوريس . رَجَعَ فاسيلي نيكانوروفتش. أنا قدوةٌ للضعف . أرى أن الله يأبى أن أكون خادمه . إن له الكثير من الخدم غيري . وهو بغنىً تام عني . إذا ما فهمنا ذلك بوضوح أكبر هدأتَ نفوسُنا .

(تخرج . يصلي . تدخل الأميرةُ بغتةً عليه ، وتجرحه جرحاً مميتاً . يُهرع الجميع . يقول : إنه جرح نفسه غلطاً . يكتب التماساً للقيصر . يأتي فاسيلي نيكانوروفتش مع الدوبوكريين . يموت . يفرح لأن كذب الكنيسة قد شُهِّرَ به ، ولأن الحياة كان لها معنى في نظره) .

ستار